علامة استفهام

تأليف

مجموعة مؤلفين

كتاب: علامة استفهام

تأليف: مجموعة مؤلفين

الناشر: أدباء 2000

الطبعة الأولى 2018

رقم الإيداع: 3683/2018

تصحيح لغوي: سومية الألفي و سحر عزام

إخراج فني: آلاء سيد حمودة

تصميم الغلاف: محمد علي

المدير العام : منة عامر

حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار أدباء 2000 للنشر والتوزيع-2017

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أونقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقةخطية من الناشر مقدما

دار أدباء 2000 للنشر والتوزيع

نشر – توزيع

0020/01020812429 –01099654718

الإهداء

إهداء خاص

كان حلما فاصبح فكرة فتحول لواقع ملموس ..

منذ اليوم الأول لدخولنا جروب سطور الثقافي ونحن نحلم بمجموعة قصصية جماعية تضمنا نحن كتاب الجروب سويا ونهديها إليه ..

سعينا كثيرًا لتحقيق حلمنا، وواجهنا الفشل مرة واثنتين، ولكننا لم نيأس ..

وها أنت ذا عزيزي القارئ وأنت تمسك بين يديك هذه المجموعة القصصية تعلم أننا قد نجحنا أخيرًا في تحقيق حلمنا ..

وتعلم أنه قد صدرت للنور أول مجموعة قصصية تضم كتاب جروب سطور بين ضفتيها ..

فإليه ..

إلى جروب سطور، بيتنا وملاذنا وموطننا الثقافي الذي لا ولم ولن ننكر فضله وأعضاءه علينا والذي لن نتخلى عنه أبدا ما حيينا

إلى هذا الصرح الذي نفخر بانتماء أسماءنا له ..

نهدي هذه التجربة وهذا الكتاب ..

عسى أن يكون هذا العمل البسيط جزءًا من رد الفضل لأصحابه ..

شكرًا من القلب جروب سطور.

فريق كتاب سطور

المقدمة

يقولون أن الكاتب يترك شطرًا من روحه داخل ما يكتب، والأمر بالنسبه إليه أسمى من مجرد كلمات تصاغ على وريقات، وهو ما يصنع للكلمات حياة، عزيزي القارئ أنت لن تقرأ مجرد كلمات، بل ستجول في روح كاتب ولن تجول فى روح كاتبًا واحدًا، بل ستجول في أرواح تسعة عشر كاتبًا، كلهم أحبوا أن يشاطروك شطرًا من أرواحهم، وشطرًا من محبتهم، فهلا شاطرتهم ما أحبوا أن يشاطروك إياه؟

مجهول الهوية

أحمد فضل

" تم العثور على جثة لشاب مجهول الهوية "
قالها لي ذلك المخبر بصوته الأجش بمجرد وصولي إلى موقع الحادث فور إبلاغي ، حيث أعمل بإدارة البحث الجنائي وأردف قائلاً :

- الفريق بكامله في إنتظارك يا فريد بك .

لأدخل في تؤدة إلى داخل الشقة بالطابق الأول التي وقع بها الحادث في إحدى البنايات حديثة البناء بأحد المناطق الهادئة، أما بالنسبة للشقة فهي أنيقة من الداخل تحوي أثاث حديث الطراز وإن كان حال الردهة لا ينم عن حدوث أي صراع .
أجتاز بعض رجال البحث الجنائي الذين يقومون برفع البصمات، لأجد الباب المؤدي إلى غرفة النوم موقع الحادث حيث يتوسطها سرير فاخر تقبع فوقه جثة عارية تماماً لشاب شاخص البصر مدرج في دمائه من عدة طعنات نافذة بالصدر والرقبة التي تحيطها سلسلة ذهبية لامعة تحمل حرف الفاء بالإنجليزية، وكلمة شاب هنا من حالته الجسدية فقط وليس من ملامح وجهه الذي تم سلخه بالكامل لتظهر عضلات وجهه وكأنما من قام بقتله جزار.

ألتقط إحدى سجائري من علبتها وألقيها في فمي محاولاً إشعالها بقداحتي الذهبية وأنا أشير إلى أحد مساعديني الذي حضر على الفور لأبادره قائلاً:

- من قام بالإبلاغ عن الحادث.

ليجيب هو في سرعة وهو يلتقط قداحته من جيبه ليساعدني في إشعال سيجارة قائلاً:

- صاحب الشقة المجاورة وهو رجل عجوز يناهز السبعين ويعيش وحده بعد وفاة زوجته وسفر ابنه الوحيد للخارج.

أمتص عبق السيجارة ببطء وروية كدأبي دائماً لأحاول ترتيب المعلومات وتحليلها في ذهني ، فشهرتي تسبقني في إدارة البحث الجنائي لأني لم أعجز عن حل أي قضية منذ توليت عملي لدرجة أنهم يطلقون عليّ رجل المهام الصعبة نظراً لرجاحة عقلي وقدرتي الفائقة على ترتيب الأحداث مما أضاف لي عدة ترقيات في سن صغير جعلتني موضع حسد العديد من زملائي.
نظرت للمساعد لأسأله بتركيز:

- وهل يوجد أي شهود أخرون؟

ليحرك المساعد رأسه يمينًا ويسارًا نافيًا وهو يجيب:

- كلا يا بك فالبناية حديثة البناء ولم يقطنها أحد سوى العجوز من ستة أشهر والقتيل من شهر واحد حتى أنه لا يوجد حارس للبناية.

فأطرقت برأسي ونظرت إلى الأرض مفكراً ليتناهي إلى مسامعي صوت خطوات لكعب أنثوي تصعد درجات السلم في سرعة وقبل أن أنظر من القادم من باب الشقة المفتوح على مصراعيه قال المساعد:

- لابد أنها دكتورة فاتن الطبيبة الشرعية.

ليدخل بعدها من فرجة الباب زميلتنا دكتورة فاتن، وهي وإن لم تلاحظ أسم على مسمى؛ فبمجرد دخولها فاحت رائحة عطرها الأنثوي في المكان لتلهبه بعبير أخاذ، تداخل مع قوامها الممشوق وجسدها الأبيض البض، وشعرها الحالك الذي تعقصه خلف رأسها لتصنع لوحة للإلهة فينوس رمز الجمال عند الأغريق لتغلف تلك الهِبات السماوية بمنظار طبي أسود أنيق أضفى عليها مزيداً من الأنوثة وإن أرادت العكس .

تسمر الجميع للحظات في أماكنهم لحظة وصولها لأقطع أنا ذلك العبير الأخاذ الذي أذهب عقولهم مصافحاً إياها قائلاً في هدوء:

- أهلًا دكتورة .

مدت يدها تصافحني في توتر وصدرها يعلو ويهبط في سرعة لتلتقط أنفاسها في قوة

وهي تقول:

- أسفة جداً لتأخري فالطريق إلى هنا كا .....

قاطعتها بإشارة من يدي أن لا بأس معللًا :

- أنا من يتوجب عليه الأسف فلقد أتيت بك في وقت متأخر ولكني لم أجد أحدٌ غيرك متاح ؛ فزملائك بالإدارة هواتفهم مغلقة.

ثم أشرت إلى خاتم زواجها في يدها اليسرى مردفًا:

- نرجو فقط ألا يكون زوجك يتضايق منا ولكن هذه طبيعة عملنا.

فأشاحت بيدها قائلة:

- لا بأس فهو يتفهم طبيعة عملي جيدًا، كما أنه مسافر في مهمة عمل بإحدى المحافظات المجاورة منذ يومين وسيعود غداً فلا بأس.

لتردف بلهجة أكثر عملية وقد لاحظت نظراتي المتفحصة لمفاتن جسدها:

- كما أن كل منا يحب الأخر ويحترم عمله يا فريد بك، وأنت كيف حال زوجتك؟

فأجبتها في ضيق من تلميحها:

- بخير، في زيارة لأهلها بإحدى الدول العربية.

ثم تلفتت حولها في عجالة وهي تهتف:

- أين الجثة إذن؟

فأشرت لها بإتجاه غرفة النوم فتوجهت نحوها في خطوات واسعة ووقفت على الباب ثم وضعت يديها على فمها وصرخت في هلع:

- كلاااااااااااااا

فحضر الجمع الصغير على صوتها ليروا ماهنالك فأشارت إلى الجثة بيديها في هيستريا وهي تهتف:

- إنه... إنه زوجي.

وهوت فاقدة للوعي.

****

بعد أن أفاقت وإستعادت رباطة جأشها قليلًا وهدأت، ناولتها كوبا من الماء تناولت منه رشفات قليلة ورفعت نظرها نحوي بعينين دامعتين دون أن تنطق فبادرتها بالسؤال قائلاً:

- منذ متى تغيب زوجك عن المنزل؟

فأجابت وهي تتهانف:

- منذ يومين كما أخبرتك ولكني لم أعتقد أنه أنه ...

وصمتت ولم تكمل فناولتها منديلاً لتجفف دموعها وسألتها وقد ضيقت عيني كعادتي حين أود التركيز:

- أرجو المعذرة ولكن كيف تعرفتي عليه بالرغم من سلخ وجهه.

فرفعت عينيها إلي وقد أمتزج الغضب فيها بالدموع لتقول:

- كيف عرفت؟! ياله من سؤال ساذج، أنت تحدثني عن زوجي، وهل توجد إمرأة لا تستطيع التعرف على زوجها مهما تغيرت ملامحه! كما إنني أحفظ تفاصيل جسده وعلاماته المميزة عن ظهر قلب ، ناهيك عن السلسلة حول رقبته والتي تحمل حرفي الأول وقد أهديتها له في عيد زواجنا منذ بضعة أشهر، هل تعجز أنت عن التعرف على زوجتك يا فريد بك.

قطبت حاجبي في ضيق عند ذكرها لزوجتي فلا أحد يعلم بحقيقة علاقتي بها الغير مستقرة فبعد زواجنا بفترة بدأ كل من حولنا يسألنا عن قرب حلول مولود يحمل إسمي خاصة من الأهل والأقارب وذهبنا للفحص لتأتي النتيجة الصادمة وهي عجزي عن الإنجاب بالرغم من كفاءتي الجنسية، لذا قررت أنا وهي دون إتفاق مسبق عدم التحدث عن هذا الأمر مطلقًا خاصة بعد إستشارة أكثر من طبيب وعمل عدة تحليلات لتأتي كلها بنفس النتيجة، فكرت أن أعرض عليها الأنفصال ولكن بحسبة بسيطة وبالنظر إلى إمكانات زوجتي وأهلها المادية فضلت إبتلاع الأمر خاصة إنني لم أقصر أبدًا نحوها في واجباتي الزوجية فلابد من أنك تعلم أنه بالرغم من شهرتي ومهارتي في عملي إلا أن راتبي الزهيد لا يتناسب مع مستوى معيشتنا الذى نتفاخر به وهو بالطبع من أموال زوجتي ، وكما أعتقد أن تلك الحسبة قد راقت لها أيضًا فهي

تمنحها الوجاهة الإجتماعية اللازمة والنفوذ بجانب المال وأعتقد أن هذا سبب موافقتها على هذه الزيجة بالرغم من علمها بمواردي الهزيلة، فزواجنا كان تقليديًا ولم يكن عن حب بل هو تزاوج المال بالسلطة، لتمر الأيام وبدأت ألاحظ تغييرات عدة عليها.

مكالمات مقتضبة، التأخر في الرجوع للمنزل والتغيب عدة ساعات، ثم بدأت تنهال الرسائل من رقم مجهول الهوية بعلاقة زوجتي المحرمة بأخر وتمتعها في أحضانه نظراً لكوني في نظرها نصف رجل أو رجل فاقد الأهلية، فتتبعتها ذات يوم لأجدها تذهب لمقابلة زوج فاتن بعيادته، وهو طبيب نساء بالمناسبة ،ولكن كان هذا بعد انتهاء موعد عيادته وتغييت فترة، ثم شاهدتها تغادرها وهي تحمل ابتسامة سعادة لم أراها تمنحها لي منذ فترة وأنا زوجها، عينيها تلمع بفرحة وكأن عينيها تعانق عينيه، فهنا وهنا فقط قررت الثأر لكرامتي المُهدرة وإحساسي المنتقص بالرجولة فقمت بعلاقاتي بحجز تذكرة طيران باسمها، وبمبلغ غير بسيط أقنعت إحدى الفتيات المتهمات بإحدى القضايا بالسفر لتسقط الأحكام التي عليها مع إنتحالها لشخص زوجتي وتهيئة هوية جديدة للفتاة هناك وبقليل من المكياج تصبح زوجتي رسميًا خارج البلاد وكأنها ذهبت لتبحث عن علاج، أما عن زوجتي نفسها، فأعتقد أن ذلك الجزار في الحي الشعبي والذي يطعم رواده مشويات بلحم الحمير لن يتساءل عن كنية هذه الأرطال من اللحم المفري المهدي إليه، وبالنسبة لزوج الدكتورة فاتن فلقد أعددت العدة لقتله قبلها بفترة، فقمت بإختيار تلك الشقة وتلك البناية بعناية وكنت أحضر إليها مخفياً ملامحي مرتدياً ملابساً تشبه ملابسه، حتى أتيت قبل الحادث بيوم ولم أغادر وقمت بالأتصال به في اليوم

التالي بنفس الموعد الذي كنت أحضر فيه على إعتبار أن زوجتي تعاني من حالة طارئة وبمجرد حضوره عالجته بضربة أفقدته الوعي وقمت بحمله للسرير وطعنه وسلخ وجهه إنتقاماً منه وحتى لا يتعرف أحد على ملامحه من قريب.

ولم يكن هذا هو الدافع الوحيد ، بل أيضًا وجود دكتورة فاتن فكيف بمن يحظى بزوجة مثلها أن يرى أي نساء أخريات، كيف لمن أمتلك القمر أن يجذبه ضوء النجوم، فليكن إذن إنتقامي منه كاملاً فكما سلبني حياتي وزوجتي سأسلبه حياته وأتمتع بأحضان زوجته الملتهبة والتي أكاد أجزم أن كل زملاؤنا تخيلوا أنفسهم معها في هذا الوضع.

دار كل ذلك بخلدي في لمح البصر وأنا أرى حلمي يكتمل فلم أنعم فقط بالتخلص منه بل أيضاً أفسحت الطريق لنفسي للحصول على زوجته الفاتنة ولم يبق سوى القليل فما أسهل إحتواء أنثى وحيدة مجروحة ومصدومة في مشاعرها وزوجها سوى بالأقتراب منها ومواساتها.

نظرت لوجهها الملائكي الدامع العينين خلف عويناتها الطبية وقد زادها البكاء إحمراراً لوجنتيها وتوهج لشفتيها اللتين صار لونهما قرمزي يدعوك لإلتهامهما إلتهاماً، فأخذت بأناملها الرقيقة ودعوتها للوقوف قليلاً بالشرفة لحين انتهاء الرجال من رفع البصمات فوقفت معها وحدي وطلبت من أحدهم إحضار أي مشروب لها لتهدئة أعصابها، وفي الشرفة زاد انعكاس ضوء القمر على عويناتها وجلدها الأبيض من إثارة وسخونة لهيبها المتصاعد وأنا ألمح نظرات كل الموجودين تلتمع بالحقد وأنا أنفرد بها وحدي وهي تدير ظهرها لهم بينما أنا أواجههم، وبصوت خفيض سألتها:

- ألم يكن لزوجك أي أعداء.

فأجابت في خفوت:

- كلا، على الإطلاق فهو مسالم جداً ولا يضمر الشر لأحد.

فأجبتها وقد ضايقني دفاعها عنه:

- ولكن تحرياتنا قد أفادت بأنه كان متعدد العلاقات النسائية.

هزت رأسها نفيًا ثم أجابت بصوت خفيض:

- بالطبع لا، إلا إن كنت تقصد علاقته بزوجتك.

أصابني الجمود للحظات من فرط الذهول ثم سألتها بتلعثم:

- مم .. ماذا تقصدين ؟ زوجتي سافرت و ..

قاطعتني بإشارة من يدها وهي تتلفت حولها لتتأكد من عدم سماع المحيطين لحديثنا لتقول :

- صه ، فأنا أعلم كل شيء منذ أن ذهبت زوجتك لزوجي بالعيادة لتطلب منه علاجاً فعالًا لحالتك ولكنها خشيت أن تحرجك بطلب هذا منك فجعلته يخاطب أحد زملاءه الأطباء بالخارج والذي توصل لعلاج حالات مثل حالتك، وعندما أبلغه بإمكانية ذلك ذهبت لتحادثه في عيادة زوجي وعبر حاسوبه الشخصي لكي لا تشعر أنت بشيء.

تدلى فكي في بلاهة وعجز لساني عن الكلام وقد عقدت هي ساعديها أمام صدرها وتنفست بعمق قبل أن تكمل:

- المسكينة لم تكن تعلم أن الدكتور زوجي يأخذ ملفات حالاته ليعمل عليها في المنزل وقد لفت نظري أسمك المدون في الملف وعرفت منه القصة كلها.

هنا رددت بعصبية:

- ولكن، ولكن هناك رسائل على....

فقاطعتني مرة أخرى وهي تقول في برود:

- تقصد تلك الرسائل التي كنت أرسلها لك، يالك من غبي، أتعجب حقاً من تلك الترقيات التي حصلت عليها بحل القضايا إن كنت بتلك السذاجة.

رددت في اضطراب وأنا أشعر أن الأرض تدور بي:

- ولكن، ولكن لماذا؟

فأجابت في حدة وبنفس الصوت الخافت، وقد قطبت حاجبيها وقد تحولت ملامحها الملائكية لشياطين جهنم:

- هنا مربط الفرس، فأنا وأنت من عجين واحد فنحن عبيد للمال أنت أكملت مع زوجتك حتى لا تخسر أموالها وأنا أكملت مع

زوجي حتى لا أخسر إرث عائلته، ولا تظن أنني لم ألاحظ نظراتك النهمة لجسدي ولكن لا تظن بأن زوجي إستطاع أن يظفر منه بشيء دون دفع الكثير بل والكثير جداً، ولكن من معاملتي له بدأ يمل مني ويبحث عن زوجة أخرى توفر له معاملة حسنة وإن كانت أقل جمالاً.

وأدرات وجهها نحوي في شراسة لا تتناسب أبدًا مع جمالها الطاغي وهي تهتف:

- وهذا ما لم أكن سأسمح به أبداً، أن تشاركني أخرى في إرثه لذا أخترتك لتعاونني في تنفيذ مخططي، وأستعملتك كإحدى قطع الشطرنج وأظن أنك أيضاً ستفوز بإرث لا بأس به من زوجتك.

ثم عادت إلى لهجتها الهادئة وهي تقول:

- لذا إن وددت الحصول على جسدي والتمتع به لابأس، فبعد فترة يمكننا الزواج وستكتب لي نصف ثروتك بالمقابل و...

قاطعتها أنا هذه المرة وقد إستشاطت أعصابي غضباً:

- ومن أدراك أنني لن أبلغ؟

قطعت عبارتي وقد انتبهت لمدى المأزق لتكمل هي:

- تبلغ عن ماذا؟ عن قتلك زوجتك طمعاً في مالها أم قتلك لزوجي طمعاً في جسدي.

تعالي صوت المساعد يخبرني بانتهائهم من عملهم ووجوب المغادرة لمباشرة التحقيقات بالمكتب فقالت وهي تتكيء على ذراعي وقد ارتسم الضعف على وجهها فجأة وعادت الدموع تنهمر من عينيها :

- أعد التفكير يا فريد بك فعرضي لا أكرره مرتين من مصلحتك تقييد القضية ضد مجهول .

وأستدارت وقد تعالي نحيبها وهي تهتف :

- وا زوجي العزيز .

بُهت وجهي لأدائها الأكثر من رائع وتحولها في ثانية وقد قررت التفكير في عرضها وأخذه على محمل الجد فمهما حدث ..

وسواء وافقت أم لا ..

يجب أن يظل القاتل مجهول ..

تمت

القلب الأبيض

أشرف كمال

عرفها بحكم عمله الذي يجعله شديد القرب من مآسي البشر و آلامهم . بطبيعته التي اعتادت البحث عن أنات القلوب الجريحة و الأنفس الحائرة. وقلبه الذي يحب ذاك اللون من الشجن الشجي الذي يلهب أوتار مشاعره ، فيجد سعادته في مشاركة الآخرين أحزانهم – إن لم يجد منها شيئاً داخله – ذلك الأنين الصاخب ، و تلك الصرخات المكتومة الصامتة ، و الأماني التائهة و الآمال الضائعة .

هذه اللمسات الحسية و المشاعر الإنسانية الصادقة التي توقظ أحاسيسه الخاملة ما بين آونة و أخرى . تمنحه وقود حياته الذي يعينه على احتمال رتابة مهنته . لذا تراه دائماً يفتش عنهم بعينٍ فاحصةٍ و قلبٍ شغوفٍ ، يبحث عن أصدقائه في رحلة العذاب و الألم بكل اللهفة و الحب ؛ كي يبكى معهم وحدتهم و وحدته و يشاركونه غربته .

كان يجد نفسه معهم . حين تمتد يده لمساعدتهم للتغلب علي مِحنهم و آلامهم و مواساتهم فيما قُدِّر لهم .. !! يراقب تلك العيون الكسيرة و الأجساد الهزيلة و الأيدي المرتعشة . يحاول أن يضيء شموع الأمل بين نفوسهم اليائسة – حتى لو كانت سراباً من نسج خيالهم – فلا توجد أماني مستحيلة . و لا توجد حياة بلا أمل أو هدف أو غاية نحاول الوصول إليها .

فرحمة الله بعباده وسعت كل شيء؛ إنما هو – جلت قدرته – يختبرهم في قوة صبرهم و مدى إيمانهم .

رآها لأول مرة . كانت تختلف عنهم جميعاً في شيءٍ ما !!.. لم يكن يعرفه في بادىءالأمر . شديدة بياض البشرة ، كزهرة أوركيد بيضاء ، شفافة الملامح؛ حتى تحسبها ملك من الملائكة ، أو حورية من حور الجنة ، أو إن كانت تنتمي إلي دنيانا ؛ أقرب الشبه إلي قطعة من المرمر الأبيض ، ناعمة كالحرير ، باسمة الثغر ، هادئة الطبع . لكن تغلها تلك المسحة من الحزن التي ما كان ليخطئها أبداً ، تلك الدموع التي تترقرق في العيون ، و لا تسقط إلا في الخفاء . و ذاك الرأس المرتفع في كبرياء يرفض الاستسلام للمرض ، و ينفي هذا الادعاء في إباء .

يحسبها من يرها لأول وهلة ؛ أنها واحدة من ملائكة الرحمة ، تخطو بخطوات رقيقة باسمة بين الأسرة . توزع البسمات و الضحكات و الكلمات المطمئنة ، تحلق كالفراشات .

لولا تلك الفحوص والتحاليل و الآشعات اللعينة !!.. ما أصدق أبداً أن هذا القلب الرقيق الجميل .. عليل ، يحتاج إلى جراحة عاجلة ؛ كي تهبه القدرة علي مواصلة العطاء و تعينه على البقاء .

كانت شديدة القرب إلى سائر زملائها، تبث فيهم روح الأمل والإيمان والصبر؛ حتي أطلق عليها البعض لقب زهرة الصبار. لأنها تشقى بالعطش ولا

تشكو منه . و تروي الظمأى ماء حياتها !!. لا تبكي أبداً من أجلها لكن من أجل غيرها . تقول دائماً في ذلك :

- بكاء النفس من أجل غيرها يطهرها .. أما بكاؤها من أجل نفسها يحرقها

دائماً ما يراها قوية ، صابرة ، مؤمنة ، حالمة . تحلم بالبلاد المحجوبة بعالم نقي ، تقي . لا يعرف سوى الحب و الإخلاص و الوفاء . عالم العدل و المساواة و الإخاء . عالم بلا أخطاء بلا آلام ، مفعمة بالإيمان تردد تلك المقولة :

- الله في قلبي هو رب قلبي .. فما القلب إلا بيت الله .. فيه أنوار صفاته .. و النور في قلبي و بين جوانحي .. فعلام أخشى السير في الظلماء .. ؟ !

واثقة من رحمة الله تقول :

- ما افتقد شيئاً من وجد الله .. و ما وجد شيئاً من افتقد الله ..

تتحمل آلامها – التي لم تظهرها أبداً – بصبر ، و ثقة ، و نفس راضية ، قانعة وسكينة ما بعدها سكينة .. قائلة :

- الحمد لله الذي منحني الصبر أن أتقبل مالا يسعني تغييره والشجاعة لأغير بها ما أستطيع تغييره ..

إلى أن وجدها ذات يوم ؛ على شفى الانهيار وسط أنهار من الدموع الصامتة . إثر وفاة صديقة لها أثناء إجراء جراحة في صمامات القلب ؛ كانت قريبة الشبه بحالتها ، كثيراً ما جلسا يحلمان معاً أحلام الفتيات ، و يخططان لمستقبل حياتهما التي لم يكونا يعلمان أنها قصيرة .. قصيرة جداً إلي هذا الحد !!..

انخرطت في بكاءٍ دامٍ ، متواصل؛ حتى أنها فقدت القدرة على النطق و سقطت .. سقطت صاحبة القلب الأبيض في غيبوبة تامة . غابت عن عالم الوعي لأيام وسط عالم الأجهزة الذى يرصد أنات قلبها الصامتة ، و أنفاسها المرتعشة الخافتة .

ظلت لعدة أيام ما بين الحياة و الموت . ذلك الجسد الرقيق ، الهزيل ، و تلك الروح المرهفة . مازالت تقاوم ، و تنتفض كفراشة تحاول التحليق . بعدما غاصت في بحيرة من الظلام الدامس . قاومت .. و قاومت حتي تفتحت أعينها علي الحياة من جديد ، و استنشقت رحيقها ثانية؛ بعدما رأت الموت بعينيها حقيقة لا مجازاً .

تماثلت للشفاء سريعاً ، وسط دهشة الجميع . تألقت عيناها من جديد ، والتمعت بذلك البريق . عادت إلى طبيعتها زهرة ندية في صباح ربيعي جميل.

اقترب منها في لهفة كي يطمئن على سلامتها ، يسألها عما حدث لها . فأجابته قائلة في وهن :

- في ذاك اليوم .. دعوت الله أن أموت كصديقتي .. فاستجاب الله لدعائي .. و علمني الدرس .. عرفت مذاق الحياة .. و عرفت معني الإرادة .. و الإيمان و الصبر .. فلم أستسلم .. نجحت في الامتحان .. و ازداد إيماني بالله .. و بنفسي .. و عرفت أن النجاة في البقاء لا الهروب .. لأنه سلاح الجبناء .. ففي الصبر على ما أصابك أكثر من حل لآلامك .. و النسيان دواء كما يقول الشاعر .. مسائل مالها من حل و لكن .. إذا نسيت ففي النسيان حل ..

توقع الجميع أن ترفض إجراء الجراحة بعد ما حدث لصديقتها ؛ إلا أنها على عكس ذلك . بدت متحمسة ، متفائلة ، هادئة ، راضية ، مطمئنة، باسمة دوماً. تلك الابتسامة الغامضة؛ كابتسامة الموناليزا؛ التي تجمع ما بين الأمل واليأس، الفرح و الحزن، الثقة والخوف. لم يكن أحدٌ يدري ماذا يدور بخلدها. لأنها أبداً لم تشكو يوماً ما بها، أو تحدثهم بحقيقة مرضها الذي بدأ معها منذ صغرها. و قضت سنوات عمرها في رحلة العذاب و الألم، رحلة الكفاح والصبر. و.. شاءت الأقدار أن يسافر في أحد المؤتمرات العلمية خارج البلاد؛ بعثة للتدرب على نوعية جديدة من الجراحات الخاصة بتغيير الصمامات. ذهب إليها ليودعها. ربت على يدها. و شد على أناملها مطمئناً

ثم سألها في ودّ:

- ماذا تريدين أن أحضر لك من الخارج .. ؟ !

فقالت له ، و عيناها تشع فرحاً و سرور طفولي :

- أحضر لي معك حياة جديدة .. و أملاً لي .. و لغيري من أصحاب القلوب الموجوعة ..

فضحك قائلاً :

- سأحضر لك معي قلباً جديداً .. بدلاً من ذلك القلب ذو الصمامات المتهالكة .

أهدت له مصحفاً كي يحفظه من الشرور . فودعها بابتسامة مطمئنة. ونصحها ألا تجهد نفسها لحين عودته . و إجراء عمليتها .

مكث هناك قرابة الشهر . ثم عاد يحمل معه صمامين حديثي الاختراع . قد ثبت نجاحهما بنسبة تفوق التسعين بالمائة . عاد تملؤه اللهفة ، و الشوق إليها . فقد اكتشف في فترة غيابه مدى حبه لها ، و تعلقه بها . شرد مفكراً – على متن الطائرة – يتخيل لحظة لقائهما . نظر بكل الحب إلي تلك السلسلة التي تحمل قلباً أبيضاً من البلاتين أحضره كهدية إلى صاحبة القلب الأبيض .

ذهب مسرعاً إلى المستشفى . قبل أن ينته من فض أمتعته – اتجه رأساً إلى سريرها . إلا أنه لم يجدها .. ؟ ! فأسقط فى يده . وقف جزعاً تنتابه

هواجسا شتى . لكنه أخذ يطرد عنه وساوسه إلى أن قابل أحد زملائه . سأله عنها . فنظر إليه ملياً ، و ظل لبرهة صامتاً كالدهر . ثم أمسك بيده قائلاً :

- تعال معي لأريك أياها .

ظلا سائرين في ردهة طويلة مطرقى الرأس ، صامتين صمت الموتى . انتابته مشاعر متضاربة . و خوف دفين . توقف زميله فجأة عند أحد الأبواب ؛ التي يعرفها جيداً ، قد كتب عليه (متحف الأنسجة) .

دخلا حيث كان يرقد وافدٌ جديدٌ داخل صندوقٍ زجاجيٍ . سرت قشعريرة رهبة في جسده . نظر إلى ذلك القلب الأبيض . عرفه علي الفور . إنه قلبها لابد أن يكون كذلك !!.. فهو يستشعر فيه روحها الوديعة . و عبق عطرها الأخاذ ؛ كما لو أنها تجالسه الآن .

سقط متهالكاً على أقرب المقاعد إليه . فاضت عيناه بالدموع . دفن رأسه بين كفيه ؛ كي يواري قطرات أبت إلا أن تسقط من بين أنامله بين يدي صاحبة هذا القلب الأبيض . نظر إلى زميله بعد فترة من الصمت المشوب بالذهول . و قد اغرورقت عيناه بالدموع متسائلاً .. فأجابه :

- ساءت حالتها في يوم من الأيام .. حتى أنها أدخلت إلي غرفة العناية المركزة .. ظلت بها لمدة أسبوعٍ .. و اضطروا إلى إجراء جراحة طارئة لها .. إلا أن قلبها الضعيف لم يحتمل !!..

ثم استطرد في أسى قائلاً :

- لقد تبرعت كتابياً بقلبها قبل إجراء العملية .. قائلة .. إذا لم يكتب ليّ النجاه .. فهاكم قلبي معكم مدى الحياة .

نظر إلى ذلك القلب الأبيض ، الألم يعتصر فؤاده ، و يحرق مهجته ، يفجر أوجاعاً لا نهائية في جسده ، و جراحاً لن تندمل أبداً في روحه ، ثم انخرط في نحيب يدمي القلوب ، لكنه في غمرة أحزانه شعر كما لو أن طيفها يحوم حوله ، و يداً رقيقة ، ناعمة . تملس على شعره ، تمسح دموعه ، و انساب صوتها متغلغلاً داخله . مردداً كلماتها له . كوميض فجر يبدد عتمة الليل :

- لقد أدركت أن الله قد أراد بنا أمراً .. و أراد منا أمراً .. فما أراده بنا طواه عنا .. و ما أراده منا أظهره لنا .. فما بالنا ننشغل بما أراده بنا .. عما أراده منا .. لقد صارت الدنيا في يدي .. لا في قلبي .. وسيلة و ليست غاية .. طريقاً و ليست منتهى .. فعلينا أن نتعلم أنه ليس كل ما يتمناه المرء يدركه في تلك الحياة .. وأن نتعلم من التمرد الرضا .. ومن العصيان الطاعة .. و أنه لا يُصَيِّرُنا عظماء .. إلا الألم العظيم .

فغمرته السكينه و الطمأنينة و عمر قلبه بالحب و الإيمان .

منذ ذلك الحين كرس حياته من أجل انقاذ المئات و المئات كحالتها . برع في تلك العمليات . و ذاع سيطه بين الأطباء و المرضى . فكان يشعر

بالرضا؛ برغم ذاك الحزن المر الذي يسكن بين حنايا قلبه . كلما شاهد نظرة امتنان ، أو ابتسامة شكر على وجه أحد مرضاه ممن كتب لهم الشفاء على يديه . حينها كان يلمح وجهها الصبوح ، و شبح ابتسامتها الهادئة ، الواثقة، المطمئنة؛ يشع من وجوههم . كشمسٍ منيرةٍ ، تشرق وسط سماءٍ صافيةٍ.

تمت بحمد الله

أحياء أموات

أميرة العربي

يا لجرأتها!! تقفُ بين المقابر لا تحرك ساكنًا! ألا يرهبها الموت الذي تملأ رائحته المكان؟! ألا يخيفها مشاهدة ذلك القبر المفتوح أمامها؟! أسمعهم بوضوح وكأنهم مازالوا أحياء يسعون بين البشر ....كنت أنظر داخله أتمنى أنْ لو نزلت إليه حتى أشعر ببعض الأمان، جثوت على ركبتي، أرمق المكان بعينين زائغتين.. قبرٌ مُحكم الغلق له بابًا من المعدن وكأنه نافذة مغلقة تطل على عالمٍ أخر، به العديد من الأسرار، يحمل بين طياته الكثير من الحكايات حينما فتحوا ذلك الباب؛ زاد الشغف لرؤية ما خلفه، فقط حفنةٌ من الرمال موضوعة على بعض الأكفان المنفوشة، يبدو على مَن دُثروا بها وكأنهم لازالوا أحياء!

يدخل ذلك الحارس ليضع بعض الرمال ليفرغ ذلك الهواء الذي ملأ الكفن من الداخل فيهبط وتتضح قسمات العظام!، يتحرك هذا الرجل ومعه بعض الرجال يبادرون بحذر لجمع بعض العظام من جانب آخر من المقبرة يسمونه (المعضمة) ليفسحوا المكان للزائر الجديد، ذلك الذي قُطِعت أوردته وشرايينه وصعدت روحه ليهدأ وينام... ألم يعلم أنه ميت لا محاله؟! فلِماذا التعجل ؟!

لم ينل منها سوى أنه مات كافرًا، يالحسرة أهله، ويالخزيه يوم العرض والفزع الأكبر!

وقفت تنظر إليهم بعينين ثاقبتين بينما تحدث نفسها ..

- ما بالي متماسكة هكذا؟! أهمس لنفسي مُعَلِقةٌ نظراتي بتلك الجدران المظلمة، وذلك البصيص الخفيض من الضوء الذي تلاشى باختفاء أخر شعاع من أشعة الشمس لهذا اليوم.. هذا مآل البشرية على أية حال!

تحدث التربي إلى أحد المتواجدين قائلا في تأفف:

- ألم يكن من الأفضل أن تأتوا بالجثة مبكرًا؟!

نظر إليه الرجل وأجابه بهدوء وبرود:

- تلك كانت وصيته، أن يتبرع بأعضائه بعد موته، لعله يهنأ بميتته تلك، ياله من أحمق مغفل!

قال التربي معقبًا على جملته الأخيرة:

- فلنحسن ذِكر موتانا.

نظرتُ إليهم وبداخلي صوت يسخر منهم " اااه لو تعلمون"

وقفتُ أترقب تلك السيارات الفارهة، وذلك الموكب المهيب لتلك الجثة التي صارت وعاء فارغ ليس له قيمة أو مكان فيما بينهم، منهم من يبكي

ومنهم من ينتحب، أعلم ما في نفوسهم جميعا، فهذا الشاب الرقيع يبكي زيفًا وبهتانًا فهو أحد المستفيدين بموت المرحوم، تربى على يديه، وهذه ابنة أخته المصونة التي تركن على سيارتها الجديدة والتي أهداها إليها قبل وفاته ببضع شهور، تمثل البكاء، تفرك بأعينها تستحث دموعها علها تذرف، أرهقني كثيرًا ذلك الطفل ذو التسع سنوات حينما ارتمى على النعش يبكي بصدق قلبه، ينعي حاله ويزيد بذكر محاسن المتوفى وكيف أنه كان بمثابه الأب الحنون له ..

عذرا صديقي الصغير فعندما تكبر وتغدو شابًا يافعا ربما تتفهم ما يمكن أن يجعل أحدهم يكره الحياة مما يدفعه للاكتئاب، أو الجنون، أو ربما لقتل نفسه أيضًا ، لم يفعل ذلك بإرادته ، ولم يكن مجبر ؛ولكن شيئا ما في نفسة جعله بلا روح، فهو قاتل مقتول يا بني !!

فكما تدين تدان

****

أراها تتدلى أمامي من سقف حجرتها مثل بندول الساعة، كانت سعيدة تشعر بنشوة حينما انتهت من قضم أظافرها لتصل إلى قضم بعض العقل الصغيرة، تتلفت حولها كأن هناك من يرقب أفعالها، هناك من يؤرقها، تتحدث للمجهول، أراه يعاتبها على خيانه العهد ، يحدق بعيناها ، يجعل آلامها تزداد..

- سأعود، سأكون معكم ولن أترككم مجددا، أنا المخطئة ..

كنت أنظر إليها ببرود لا أعلم من أين اكتسبته، لم يتحرك في داخلي ساكن، فأنا لا أعلم ما الذي أتى بي إلى هنا ولماذا أراهم جميعا حين موتهم !!

كل ما أعلمه أنهم يوصون بالتبرع بما في جسدهم إلى غيرهم، أكانوا يطمحون في أن يحيوا حياة أخرى في أجساد متعددة؟

تبًا لحماقتهم وغبائهم، يقتلون أنفسهم وليتهم يعلمون أنه تعددت الأسباب والموت واحد ويأتي بميعاد معلوم، لا يستأخرون فيه ساعة ولا يستقدمون .. ففي كل الأحوال ميعادك آت لا محالة فلمَ العجلة؟!

عيناها تجحظان يحيطهما إحمرار الأرق، سواد تحت جفنها، أكواب عديدة من القهوة على منضدتها، بعدما عقدت العقدة حول جيدها، زادت إنفعالا، تحجر الدمع في مقائيها، تدلى لسانها، كأنها تستغيث ولكن متى؟!

تكاد تسمع حشرجة صوتها، أشعر بملك الموت ينتزع روحها كسيخ محمي يخرج من بين صوف مبلول، صوت طقطقة خفيفه لتنكسر عظام رقبتها، يصرخ الجميع خارج الغرفة، ينفتح باب الغرفة، يهرول نحوها شاب هزيل ورجل عجوز، يكاد يموت هو الأخر من الصدمة، يحاول حملها وقطع الحبل عن عنقها متمنيا لها الحياة لكن.... لكن هيهات فقد فات الأوان وفارقت الحياة تاركة وصيتها!!

أتية بين القبور، لا أعلم ماذا يحدث لي، أهي روحي؟ أم هو جسدي الذي يمتلئ بالجروح وبعض القروح، الرعب يصيبني كلما نظرت بتلك البقعة من الماء، كانت راكدة حتى التقيت بها تعكس ضوء القمر، وعكست معها جحوظ عيني وتلك النظرة التي يقشعر منها الأبدان، أكنت أنا حقا؟! أم تلك

ظلال لأشباح تهيم بين القبور ليس لها عنوان، يلتوي جزعي وكأن بي مس من جان ..

****

قبرها كان مختلفًا عمن سبقها، فالأرض بلا شواهد، وتحت الأقدام أبواب من حديد قابلة للثني، ترى من خلف فتحاتها بعض درجات السلالم وكأنها سرداب يخفي من ورائه مالم يتوقعه بشر، أرقب ما يحدث وهم يحملون جثمانها ، صوت بكائهم يكاد يطربني ، فليس هناك ما يجعلني أحزن وأنا أراها كعروس تزف بكفنها الأبيض ....

يخفضون رؤوسهم للهبوط ببطء يخافون أن تقع منهم رغم أنها هزيلةلم تأكل منذ فترة، يتعاملون مع جسدها وكأنها مازالت على قيد الحياة، لا يريدونها أن تصطدم حتى بتلك الجدران، يسيرون بهدوء بين العديد من الأبواب المغلقه؛ ليصلوا إلى العين المخصصة للسيدات؛ فيدلف الأقرب إليها ليضعها أرضا ؛ باكيًا متمنيًا لها المغفرة، ليكشف عن وجهها التربي، فلم يكن السواد ملتفح كما كانوا متوقعين، فهي منتحرة كما يعلمون !!

يالها من مسكينة، فهم لا يعلمون كم عانت قبل أن تتخذ ذلك القرار رغما عنها ....

تلك الشياطين التي كانت تطاردني ، منذ أن سافرت بتلك الرحلة إلى أدغال السودان ، كان كلشيء مرتبا لنقيم بفندق بالخرطوم ، لكني سألت المرشد السياحي عن قبائل بدائية تستقبل السياح فأرشدنا إلى بعضها فوقع اختياري

على إحداها متمنية وجود إحدى المشعوذات ؛ تتوق نفسي كثيرا لرؤيتها كما في الأفلام الوثائقية ، نعم قد كلفني ذلك الكثير، فقد أخذت سواري الذهبي المفضل كي أحقق وأتم ما أردته .. ضحكت بملء في، فقد رددت خلفها طلاسم عديدة لا أعلم ماهيتها ، ارتديت جلود الحيوانات، دهنت جسدي بدماء الحملان، لقد كنت ألهو كثيرا .. وقتها قال لي المترجم .. أنها قد أعطتني ميزة بطقوسها لن أعلم ماهيتها إلا بعد حين ...

ارتفعت ضحكاتي قائلة

- الدجل يا سيدي في كل مكان فليس هناك ما يميزني سوى أنني استمتعت كثيرا بم فعلت ..

ظلت الأمور هادئة حتى بدأت تلك الكوابيس تطاردني... خافت ذلك الصوت حينما أتى من أعماق الغابات لا تعرف من أين بدأ؟! وأين قد استقر؟! فقد تجمدت معه كل ذرة من ذرات الدماء، يرتجف القلب كمن أصابه الجنون، خفقاته الهاربة، أنفاسي المتقطعة زادت حينما رأيته... كائن أشعث ينفث رائحة كريهة يلتهب كالنيران، يقترب من جسدي فيجعل مني تلك البائسة التي لا تسطيع الحراك، يهمس بأذني بصوت أجش:

- لقد إستدعيتيني فلا مناص مني ولا فرار ..

تتلاحق أنفاسي، أختنق، يخرج صوتي متحشرج منهار متلعثم:

- اتركني فلست في حاجة إليك، لم أقم باستدعائك، وكيف؟! فأنا...

يقاطع كلماتي بغضب، وهو يجثم على جسدي لتحترق رئتاي برائحته:

- ستندمين أيتها المرهفة، فقد خنتِ العهد...

منذ ذلك اليوم وأنا أراه أمامي، يتوعدني، يزيد في تعذيبي ليلا حينما يجثم على صدري يسحبني في عالمه لأجد نفسي في الجحيم، يشق قلبي بمخالبه، لا أشعر سوى بالآلام، ينفث بلهيب مستعر، يحملني بين طيات الكآبة والضياع، وكلما أفقت من منامي لا أجد بداخلي الرغبة في الحياة، أراه في كل مكان، أرى ما لم يطّلع عليه بشر، يتراقصون حولي ويهللون، أهذا حقا؟! تنهار دموعي وتزيد آلامي، أحاول الهرب؛ لكنه يقبض على يدي المرتعشتين ليكتمل موت من أمامي، خرجت من صمتي تهالكت قواي:

- ماذا تريد مني؟! وكيف لي أن أكون قد عاهدتك؟!

ينظر بعينيه المشقوقتين:

- في غياهب الغابات حينما تمنيتي، أن تمتلكي من قوتي.كانت الطقوس تعبدًا لي، فاسجدي ونفذي أوامري، تجنبي غضبي.

جحظت عيناي، أتذكر رحلتي إلى السودان، تبًّا لفضولي وشغفي، أبحث حولي كي أتحدث إليه وأرى كيف أخرج مِن هذا المأزق.... صدقوني فليس هناك رعب أكثر من الرعب الذي تلاقيه حينما يأتي ملك الموت، ينتزع أخر ما تبقى من روحك بتلك الحياة، تتوالى الأحداث أمامك، ترى جميع أخطائك وذنوبك، تريد أن تهتف، رفقا رجاءً، فلم أستطيع التوبة بعد،

رجاءً انتظر، فقد تناسيت نفسي وشَغَلَت قلبي الحياة، صبرا حتى أسجد لعلني أنال حسن الخاتمة....

لم أجد أحد، ليس هناك سوى تلك الجثة، يا ويلي فأنا أراني.... جثتي وبجوارها وصيتي، أرى جنازتي وذلك النعش الذي يحتوي جثتي، أستمع إليهم جميعا ..

- ماتت كافرة
- لا تقل هذا فهي زوجتك
- لم أعد أطيق سيرتها
- أنت من كنت تسعى لموتها
- إصمتي أيتها الغبيه ، وإلا قتلتك

تتزايد الدموع منها الزائف ومنها الحقيقي من الحسرة واللوعة، يدخل بعد دفنتي بعض الشباب يحملون جثتي، يا ويلي، أستكون هكذا نهايتي؟ يبيعونها ويحصلون على بعض الأموال ..

بعض الواقفين حولي لا يعلمون أنني أعي كل ما هو حولي. تلك الطبيبة التي تتفنن في تقطيع جسدي وتحاول أن تأخذ ما تبقى بداخلي من أعضاء مازالت صالحة للبيع، نعم هي تلك الفتاة التي كانت تتدلى من السقف كالبندول وذلك الرجل الغريب الذي يُخرج مقلتي، ويلا لكم لم تعلموا بعد مع من تتعاملون، تلبس جسدي ذلك الجني الملعون، جعلهم يركضون، وها هم في قبورهم، أجسادهم خاوية مما كانوا يتاجرون فيه من أعضاء وجثث يبيعونها،

يخرج جسدي في الظلام أرى الناس بدون أعين، دلفت لبيتي بهدوء، تتراقص الأنوار، يصرخ ذلك الماجن خوفا مما رأى، تتشنج ملامحه، يهتف بلا صوت، تضيع الكلمات من بين شفتيه:

- أأأنتِ؟!!

يستمع لصوت غير صوتي، فلم يكن يعلم أن الجن قد تلبس جسدي، ينهار ويبكي، يعترف بما لم أكن أعلم.. يااااه، أهذا حقا؟!! فقد كان يضع لي حبوب تسبب التسمم على المدى البعيد، ليأخذ إرثي، لم يكن سبب موتي ولكنه كان يسعى لموتي، آه يا ويلي، لم أشعر بم يحدث إلا حينما وجدته على الأرض تخرج الدماء من جسده، أخذت مقلتيه كي أرى جيدا، وقلبه كي ينبض بداخلي، أستمع إلى صوت المارد بداخلي يهتف في إنتشاء:

- مرحبا بالجسد الجديد

فأنا من أتباعه الأن.... فقط أحياء أموات.

تمت بحمد الله

رسالة من الماضي

سحر عزام

(اخترت سعادتي ... ، فهل تراني أخطأت ؟)
نيكول .

آه ياقلبي ، نيكول..... لكلماتك دوما سحر يتخطي حدود الكلمات ، كل الكلمات ..و... و..... .

متي يكون للقلب وطن تصبح دقاته كسيمفونية تتساقط نغماتها من السماء، ترتاح علي أوتار الحنين، وتُنبت بتلات من عشق تُزهر في عين المحب وتثمر في خديه، ومتي وُجد الوطن، وجدت أبجدية الصدور، حروفها لاتقرأ؛ وإنما تحفر طريقها نحو القلب .

وهي .. وطن قلبي ، علي واحتها جُبرت كل انكساراتي ، لم يعنيني كونها أجنبية ولم يقلقني الاختلاف الفج بين عاداتنا ، كانت كربيع اجتاح خريف روحي ، كشمس أشرقت علي جليد صدري ، أنا الذي ماسار يوما في دروب الحب ، شاء القدر أن يهوي قلبي طائعا في دروب عينيها الزرقاء ، عامان لم

نفترق ، نعمل نهارا في استقبال أحد أكبر الفنادق السياحية في تلك الرقعة التي وُلدت أجنبية علي أرضنا المصرية (شرم الشيخ) ونتلاقي ليلا ، نوقظ الليل بضحكاتنا ، وندغدغ وجه الأرض بوقع أقدامنا الراقصة ، لا يأخذني منها سوي بضع ساعات للنوم.

كل شئ علي مايرام ، أحبها وتحبني ، اتفقنا علي الزواج ، لم أعد أحتمل فراقها، لم تعد تكفيني قبلة ولا عناق ، شرقيتي تمنعني من طلب المزيد من امرأة ستكون زوجتي ، وحنيني لها لايعرف الاكتفاء .

أمام اعتراضات أبي وتخوفات أمي، لم تنطفئ رغبتي أبدا، باتت كل محادثاتي معهم تحمل آيات الرجاء بالموافقة، وهي من جانبها تقف علي حافة الإنتظار، أحيانا تنعتني بالسلبية وكثيرا تشك في كوني لا أحبها، ولكنها لاتدري أني رغم كوني رجل لا أستطيع الزواج منها دون رغبة أبي، وكان أول خلاف بيننا.

- أنت ضعيف، لا تحبني

صرخت بها في وجهي، وتركتني غاضبة نحو غرفتها، علي شاطئ البحر أسير بلا هدى، تتعارك الأفكار في رأسي، بين رفض أهلي لزواجي منها، واعتراض أصدقائي أيضا، وبين حبي لها، وقلبي الذي لا يهدأ سوي بنبضها، وبين غضبها مني، معذورة هي، هاتفت أمها وأخبرتها أنها تحب زميلها المصري وسوف تتزوجه، فقط أخبرتها، لم تطلب منها إذنا ولم تعلق رغباتها علي حبال موافقة عائلتها، رغم تخوفات أمها التي لم تعترض، وأما أنا فأقبع هنا خائفا من لعنة أبي وغضب أمي، هكذا جُبلنا في مجتمعنا، دائما ما نقتل رغباتنا إرضاء لغيرنا، عاداتنا، آباؤنا،

وشرقيتنا أيضا، دائما ما نلوي أعناق قلوبنا إرضاء لقوانين المجتمع، نكتم أنفاس أحلامنا خشية تعارضها مع رغبات آبائنا.

لا أدري كم من الوقت مر بينما تموج الأفكار في عقلي ، أفقت علي رنة هاتفي:

- ألو
- نيكول مالك
- اهدي بس
- معقولة انا جايلك حالا

طرت لها لا ادري علي جناح خوف أم حنين، خوف من فراقها وحنين لاحتضانها، هل سأحتمل فراقها ؟

ساءلت نفسي وأنا أدق بابها، فُتح الباب فألقت نفسها بين ذراعي، دقات قلبها تدق عظام صدري، تورثه الأنين وتنزع عنه حلاوة الض، هدأتها مستفهما عما حدث حتي تغادر شرم الشيخ، أخبرتني أن إدارة الفندق هاتفتها وأخبرتها بالاستغناء عنها توفيرا للنفقات بعد كساد سوق السياحة، وبالطبع لم تكن وحدها بل تم الإستغناء عن كثير من زملائي وربما دوري قادما.

بكت نيكول وهي تخبرني أن القدر أخذ جانب والديّ في رفضهم لزواجنا، فوضع كلمة النهاية بطريقته، هتفت بها لا تظني أني سأتركك، سألحق بك إلي هولندا ونتزوج هناك.

كان قراري صفعة علي قلب أبي وأمي، ولكني لن أدفن قلبي في رمال العادات، لن أقف مكتوف العقل بينما تسلب الظروف مني تلك الروح التي تحييني، ولكن القدر كان رحيما بي هذه المرة عندما أنهي الفندق تعاقدي أنا أيضا ولم يكن أمام أبي إلا الرضوخ لقراري أملاً في حصولي علي فرصة عمل في هولندا.

خمسة أشهر مرت كدهر علي قلبي، الشوق ينحر مقاومتي ويبث في روحي عجلة لاستكمال أوراقي للحاق بنيكول، انشغلت هي بالبحث عن عمل لي ولها، وأخذتني دوامة الروتين من موظف لآخر، محادثات قصيرة للإطمئنان يعقبها سكون وانشغال، حتي حانت اللحظة وأمسكت بيدي جواز السفر وتذكرة الطيران، لحظة لا تعادلها سعادة طفل تاه من أمه وحين ظن أنه فقدها التقاها، هاتفتها وحنيني يسابق رنات الهاتف نحوها:

- يومين بالظبط واكون عندك يا نيكول
- Jij bent welkom altijd Schat
- (مرحبا بك حبيبي)

سافرت وكانت بانتظاري في المطار ، مشرقة كما هي دوما ، براقة ، لكن شئ ما انطفأ في عينيها لا أدري كنهه ، احتضنتني وقبلت خدي ، جلست إلي جوارها في السيارة ، أطالع وجهها الملائكي وحديثها الذي افتقدته ، استضافتني في منزلها ، وفي اليوم التالي اصطحبتني لاستلام عملي .

شئ من طراز الحلم ، لكنه لازال حلما ناقصا ، لن يكتمل إلا بها .

في اليوم التالي لاستلامي العمل ، أتت نيكول لاصطحابي بسيارتها بعد انتهاء العمل ، ولكنها لم تكن وحدها ، كان معها أحدهم ، تبادلنا التحايا ، وعرفتني علي إسمه دون صفته .

جلس هو إلي جوارها وجلست بالخلف ، شئ ما بداخلي ينتفض ، يتذمر ، بل يحترق ، أربت علي قلبي

اهدأ فتلك عاداتهم ، غدا نتزوج ويتغير كل شئ

وصلنا إلي المنزل ، رحبت به أمها ، ودخلت نيكول لتبديل ملابسها ، دخلت من خلفها:

- نيكول من هذا؟

اقتربت مني بعينين تائهتين تبحثان عن رد. حدقت النظر في عينيها :

- أجيبي !

ببرود أخبرتني أنه زوجها، حبيبها القديم الذي حكت لي عنه من قبل، عاد لها بعد عودتها من مصر، أيقظ مشاعرها التي كانت تظن أنها انتحرت علي شواطئ شرم الشيخ، اتفقا علي الزواج وتزوجا منذ شهر.

مادت بي الأرض، جلست منكسرا علي الأريكة فتابعت هي:

- أخبرته أني سأستقبل ضيفا من مصر فآثر أن يترك المنزل لمدة يومين حتي لا تشعر بالحرج واليوم عاد.

ذاب ملح دموعي في حروف هشة تتساءل:

- وانا؟

صمتت فكان صمتها جوابا شافيا، ولكني لم أكتفي، جذبتها من ذراعها متسائلا:

- ولم أتيتِ بي إلي هنا؟!

أجابت بهدوء:

- لأساعدك في البحث عن عمل

رفعت يدي وهممت بأن أهوي بها علي خدها ولكنها تراجعت للوراء وبعينين تملؤهما ثقة البرئ حدقت بي وقالت:

- مهلا أحمد أنا لست فتاة شرقية حتي أفرض علي نفسي واقعا لا أريده لمجرد وعد أو حتي بضعة مشاعر لحظية. سعادتي مع حبيبي الذي عاد لي، ولا أظنني أخطأت في البحث عن سعادتي والتمسك بها.

من الخارج زوجها يناديها حبيبتي هيا الغداء جاهز ، اقتربت مني وعلي وجهها ابتسامة باردة كليل فتاة عارية علي شاطئ نهر ، جذبتني من ذراعي:

- هيا أحمد ولنكن أصدقاء.....

قالتها وغادرت الغرفة، تركتني ألملم بقايا كبريائي وشيء من مقاومتي لأبدو أمامها قويا غير منكسرا.

عدت إلي مصر ومن بين أفكاري وذكرياتي يطل سؤالا وحيدا، هل أخطأت نيكول أم أخطأت شرقيتنا !!!؟؟؟

- أحمد ..أحمد سرحان في إيه ؟

أفاق من شروده علي صوت زوجته، فابتسم ولف ذراعيه حول خصرها مداعبا أنفها بأنفه:

- بفكر في ابننا اللي هييجي بعد أيام دا

ضحكت الزوجة بدلال قائلة:

- طيب تعالى نتغدي وبعدين نفكر

غادر الغرفة ممسكا بيد زوجته، تاركا من خلفه هاتفا مضيئا برسالة كُتب فيها (اخترتِ سعادتك... ، وأراني اخطأت)

أحمد

تمت

مأساة لوحة

سماح عبد الرحيم

أبحث عنها، عن ذلك الوجه الذى سأسجله بريشتي، للتقدم به فى هذه المسابقة التي أعلنوا عنها، الجميع قدموا اقتراحات، ربما تكون جيدة،ولكني غير راض عنها، أريد شيئًا مختلفاً، شيء يهز أعماقي، يستفز طاقاتي الابداعية، أبحث عن الكمال، الجميع يقولون عني مجنون، ولكني لست مجنوناً، أنا أبحث عن العمق في لوحاتي؛ لأخرج مكنون نفسي، وأيضاً أخرج ما أراه، وأحس به داخل الوجوه التي أرسمها.... إلى أن وجدتها... كانت فتاة في العشرين، تبيع الذرة المشوية، ولكن وجهها... ياله من وجه، مرسوم عليه الشقاء، والتعاسة، والألم، والمعاناة، يا إلهي هذا وجه خلق لكي يخلد على لوحة من لوحاتي، بهذا الكم من المشاعر، هذا بالضبط ما أبحث عنه... توجهت إليها، كانت تقوم بعملها بشكل ألي طلبت منها كوزا من الذرة ..

كانت تجلس بجانبها امرأة عجوز عرفت أنها أمها، ولكن كيف أفتح معها الموضوع؟

أخذت أتردد بشكل يومي بحجة شراء الذرة حتى تجاذبنا أطراف الحديث، عرفت أن اسمها. "شجن." اسمها مثل وجهها.... شجن.... وأنها يتيمة الأب منذ العاشرة من عمرها، واضطرت لترك الدراسة، والعمل من أجل لقمة العيش هي وأمها.

إلى أن جاء اليوم الذي عرضت فيه عليها الأمر. بعد إلحاح شديد مني، وإغراءات مالية، ووعد أن تكون والدتها معها أثناء القيام برسمها، وافقت في النهاية .. اتفقت معها على ساعتين يومياً .. وكان اليوم الأول..

قبل أن أبدأ، جعلتها تحكي حكايتها مرة أخرى، وسرعان ما ارتسمت على ملامحها كل التعابير التي رأيتها أول مرة، كانت سعادتي لا توصف. شرعت في رسم الخطوط الأولى في اللوحة.. وتوالت الزيارات في اليومين التاليين.. في هذه الفترة توطدت علاقتي بشجن ووالدتها، وكنت أعاملهما أحسن معاملة، كنت أدعوهما للطعام، وأحضرت هدايا بسيطة لشجن فرحت بها جداً .

في يوم جاءت، وجلست جلستها المعتادة للبدء في مهتمي اليومية من رسمها، ولكن ما هذا ؟! أرى شيئًا غريباً في وجهها، أرى في عينيها لمعة غريبة، وإشراقة في وجنتيها، وهناك ابتسامه خجلى على شفتيها.

حاولت أن أرجعها لمشاعر اللوحة، وكنت أراها تحاول، ولكن لا تستمر طويلاً حتى تنسى نفسها، وترجع النظرة الحالمة إلى عينيها، وتهب عليها مشاعر دخيلة جديدة .

كانت النتيجة أن خرجت عن شعوري، وهتفت بعصبية، ليس هذا ما أريده، وألقيت بفرشاتي، وطلبت منهما العودة في الغد .

وفي اليوم التالى حدث نفس الشيء . !!

فكرت بتعجب، هناك شيء ما تغير في تلك الفتاة، شيء جعلها تقبل على الحياة .!! ماذا حدث للفتاة، ماذا غيرها، إنى أرى في وجهها مشاعر جديدة، ووقت التقديم للمسابقة أوشك على الانتهاء.

في اليوم التالي ذهبت خلسه لمكان عملها، وراقبتها، ما الذى أراه؟! كأنها تبدلت، كانت تنشر ابتسامتها للواقفين الذين يشترون، اختفي من ملامحها البؤس والشقاء؛ ليحل محلها الأمل والإقبال على الحياة.

وفهمت، هذه الفتاة عاشت محرومة من الاهتمام والحنان، والآن وجدتهم في شخصي، هذه الفتاة أحبتني، لقد فسرت اهتمامي بها بشكل خاطيء.. ماذا أفعل؟! عليّ أن أكمل اللوحة.

في اليوم التالي، في المرسم كانت تبدو خجلى ومرحة... وعندما لم تستطع أن تعطيني الإحساس المطلوب، انفجرت صارخاً:

- ماذا حدث لكي!! أنتِ مجرد مشروع بالنسبة لي، ما سر السعادة التي أراها على وجهك، لقد عرفتك بائسة ماذا حدث؟!

كانت نظراتها كفيلة بأن أكف عن مواصلة كلامي، ولم تنطق كأن الصدمة كانت أكبر من استيعابها... فجأة اندفعت خارجة من المكان، وعيناها مغرورقة بالدموع، ظللت يومان لا أراها، ولا أفعل شيئًا باللوحة... خرجت أمشي في الشارع على غير هدى، فوجئت بقدماي تقودني إلى حيث عربتها لبيع الذرة، ووقفت أنظر إليها من بعيد... يا إلهي ماذا أرى؟ وجدتها واقفة تبيع الذرة على عربتها، ولكن ما أراه على وجهها لا يوصف، كانت ملامح وجهها كما رأيتها سابقًا!! لا... بل أكثر!! ما هذا الانكسار، والهوان، هذه الفتاة فقدت روحها... هذا ما أريده بالضبط، ولكني لا أستطيع الاقتراب منها.

أسرعت إلى مرسمي، أحضرت اللوحة والألوان، ووقفت في زاوية بعيدة أراها منها بوضوح وقمت بالرسم، كانت ملامحها تكاد تنطق بكل هذه الدموع الحبيسة، كأن عمرها أضيف إليه عشرات الأعوام .

كل هذا نقلته للورق، إلى أن انتهيت من اللوحة، كانت لوحة رائعة بحق، أسميتها (شجن) على اسم صاحبتها، كنت أصبو للكمال، وها أنا وصلت له.

قدمتها للمسابقة قبل يوم من الموعد النهائي، بعد فترة وجدتني مدفوعًا لأعرف ما حدث لشجن، بفضول ذهبت لمكان عملها، لكني لم أجدها وأمها، حتى عربة الذرة اختفت، ذهبت للبواب الذي في العمارة المقابلة، سائلاً إياه عن بائعة الذرة التي كانت تبيع أمام مسكنه، نظر إليّ قائلاً :

- أتقصد شجن وامها؟!

ظهرت علامات الألم على وجهه وهو يغمغم:

- فليرحمها الله..
- ماذا؟ من تقصد!! أم شجن؟ .
- لا بل الفتاة شجن، كانت المسكينة تذبل يومياً، وامتنعت عن الطعام إلى أن التزمت الفراش، ومن يومين فارقت الحياة، لقد كانت زوجتي تذهب لزيارتهم.

مشيت من أمامه، وتركته وأنا غير مستوعب الأمر، لقد كانت الفتاة تعيش مأساتها راضية بها، وأنا دون قصد أعطيتها الأمل بالحياة، وبعد أن تركتها، رفضت المسكينة الحياة، وقررت الانسحاب منها بهدوء، المسكينة كانت على حافة

الهاوية، وأنا جئت بمنتهى الغباء دفعتها، تلك الدفعة البسيطة لتنزلق في قاع الهاوية، كنت أنا قشتها التي كانت تنتظرها لتنهي حياتها.

فجأة ارتفع رنين الهاتف، رددت دون اهتمام، ليفاجئني صوت صديقي:

- مبروك الجائزة الأولى.
- ماذا!! أي جائزة؟!

أغلقت الهاتف، واستقللت القطار إلى الإسكندرية للاختفاء عن الناس، هناك عكفت على أمر غير مسبوق، ولكن ما أفعله كان تكفيراً عن خطيئتي تجاه تلك الفتاة المسكينة، ظللت أتابع عبر الميديا محاولاتهم العثور علي لاستلام الجائزة كنت أحارب الزمن لكي أنهي مشروعي.

****

وهكذا أيها السادة، انتهت أروع حكاية عرفها التاريخ عن لوحة!! أو كما أسميتها أنا مأساة لوحة، وللعلم هذه الحكاية وجدت في أوراق الفنان المشهور صاحب اللوحة (شجن) بعد أن عاقب نفسه، بأن امتنع عن الطعام، كان يقف أمام المرآه ليرسم نفسه بنفسه كل يوم، وكان طلبه الأخير وضع اللوحتين بجوار بعضهما لتحكي مأساتهما، مأساة فنان أراد الكمال في لوحة، ومأساة فتاة كان كل حلمها الاهتمام...

وُجد الفنان الكبير ميتا، وبجانبه هذه الأوراق التي تحكي حكاية لوحته الشهيرة (شجن) ولوحته الأخيرة (خطيئة وغفران)

كان هذا الكلام على لسان المرشد الذي يقوم بشرح اللوحتين المعروضتين في أكبر صالة عرض في العالم...

أكمل المرشد، وهو يشير للوحتين قائلاً :لوحتان تمثلان كل المعاناة التى في الدنيا،لوحتان تمثلان صراع الإنسان من أجل البحث عن الكمال والأمان، ولكن يظل السؤال هل تم الوصول إليهما؟؟!

تمـــــت

اللؤلؤة السوداء

سمر منتصر

كان يجلس على كرسيه خلف إحدى النوافذ، حيث كان نور الشمس يتسلل بهدوء إلى داخل حجرته في أحد المصحات الخاصة للعلاج النفسي، أشعل سيجارته وأخذ يزفر دخانها بهدوء، دخلت إليه ممرضته الخاصة، وأعطته علاجه المعتاد كان هادئاً جداً، صوته منخفض قليل الكلام، أخذ العلاج وأرجع ظهره إلى الوراء، أغمض عينيه محاولاً استعادة مامر به من حياته، مر شريط الذكريات أمام عينيه، ورجعت به الذاكرة حيث كان شاباً في منتصف العشرينيات.

- انتهينا من المرحلة الجامعية، وسوف نبدأ المرحلة العملية ياصديقي.
- نعم وأنا معك في أي قرار ستتخذه لقد كبرنا معاً ، وقضينا أجمل أيام حياتنا وجميع مراحل عمرنا معاً، لن أتركك مهما حدث وسوف نبدأ عملنا بشيء سيفوق عقل أي شخص يعرفنا، أو فكر فى الغيرة منا من قبل.

- إتفقنا .. أنا أفكر في شراء جزيرة في وسط البحار .. كانت أمنيتي منذ صغري أن أمتلك جزيرة في منتصف البحر . والجميع من أنحاء العالم يأتون إليها ويتحدثون عنها .

صمت صديقه لحظة ثم قال :

- لكن هذا مشروع كبير وضخم جداً، ونحن لا نمتلك الأموال لتمويل هذا المشروع ..
- لماذا لا نمتلك الأموال؟! هل نسيت أن والدي توفى منذ خمسة أشهر، وأنا الوريث الوحيد له!! سأحاول توفير المال لحين وجود تلك الجزيرة .
- إعذرني ياصديقي أنا لا أمتلك من المال شيئاً ، أنت تعلم حالتي المادية ، وكنت أود أن أشاركك في العثور على الجزيرة .
- ماذا تقول!!وجودك بجانبي وحده شراكة ومن قال لك أنك لا تشاركني ؟ أنا وأنت شيء واحد لا تحدثني في هذا الأمر مرة أخرى لابد أن نفكر بجدية من الآن لا يوجد لدينا وقت لنضيعه

وأخذا يتحدثان عن هذا المشروع وهما في قمة حماسهما، وبالرغم من أن صديقه فقير لكنه لا يأخذ في اعتباره هذا الأمر، بل متحمس أكثر لفكرة وجوده بجانبه في كل شيء.

اتفقا على كل شيء، وأخذا يبحثان عن الجزيرة المناسبة لمشروعهما لفترة زمنية كبيرة، حتى وجدا قطعة أرض في جزيرة على موقع ممتاز في وسط البحار .. كان شعورهما مثل العروس ليلة زفافها .. ومثل الأم عندما تنجب أول أبنائها .. كانت سعادتهما تكفي للتوزيع على كل شخص في الكون ويتبقى منها أيضًا .. حماسهما زاد بمجرد إمضائهما لعقود ملكية تلك الأرض طرقت الممرضة باب الغرفة ثم دخلت ..

- –هذا ميعاد جلسة الدكتور النفسي .. أطمع فى موافقتك هذه المرة لكي تحضر مع زملائك ..
- اتركيني وحدي، وأغلقي الباب ..
- بهذا أنت لا تساعدنا على العلاج الصحيح، ونحن جميعاً هنا لمساعدتك، إن كنت لا ترغب في حضور الجلسة، سأكون أنا بجانبك عندما تحب، لن أضغط عليك لكن منذ أن دخلت إلى هنا وأنا أتمنى شفائك في أقرب وقت.

نظر لها وصمت لمدة دقيقتين كان على وشك الحديث معها.. قال:

- قلت لك اتركيني وحدي وأغلقي الباب...

طأطأت رأسها إلى الأرض وخرجت، ورجع هو مرة ثانية إلى شريط ذكرياته المؤلمة ..

بدأوا بناء الجزيرة... عند وضع أول حجر في بناء الفندق، كانت كمثل أول حجر في بناء عش الزوجية... عند ارتفاع كل طابق في بنايات القصور والمنازل في الجزيرة كان مستقبلهما يعلو ويسمو يوماً بعد يوم، الحدائق والبساتين زينت بأجمل الزهور، تم بناء الجزيرة، كانت كقطعة من جنة الله في أرضه... من يدخلها مرة يتمني أن يعيش بها طوال حياته، كانت شيء يفوق السحر والجمال، أجواؤها الرائعة وشواطئها التي تحيط بها أشجار النخيل الشاهقة... يوجد بها فنادق وقصور تنظر منها على شواطيء البحار، والدلافين وهم يقفزون من المياه، ويقومون بأجمل الإستعراضات، والحفلات التي تقام فيها ليلاً، لتسعد جميع الموجودين، والرحلات التي تخرج منها لمتعة السياح، والعرسان الجدد والأهالي التي تحضر من أبعد الأماكن لترفيه أولادهم، دخلت الممرضة الغرفة على صوت صراخ شديد:

- هذه جزيرتي هذا مكاني أنا... أنا وحدي الذي شيدته لم يشاركني أحد فيه.
- إهدأ ماذا حدث لك؟!
- أنا وحدي أمتلكها... أنا وحدي جعلتها بهذه المكانة وبهذا الاسم.

يصرخ ويبكي، يريد أن يخرج من الحجرة مثل الطفل عندما لا يجد والدته أمام عينيه ويخرج ليبحث عنها... الممرضة وهي تمسك به حتى لا يخرج تصرخ:

- ساعدوني ..

دخلت مجموعة ممرضات والدكتور المعالج ..ليقول الدكتور:

- أمسكوا به وأعيدوه إلى فراشه سأعطيه حقنة مهدئة فوراً.

أخذ الحقنة وهدأ قليلاً، خرجوا من الحجرة وتركوه وحيداً ليعود إلى حياته المريرة .

****

دق جرس هاتفه المحمول، وكان صديقه محمود:

- سوف نعقد إجتماع مع الموظفين في الإدارة للإتفاق على أشياء في مصلحة الجزيرة.
- أجل هذه الخطوة الآن... نحن عندنا اجتماع مع كبرى الشركات العالمية.
- هذا خبر سعيد جداً... متى يعقد هذا الاجتماع؟؟
- باقي من الزمن ساعة واحدة فقط... لا تحتاج أن أقول لك ماذا ستفعل!
- بالطبع يا أحمد .. لا تقلق ستكون الأمور على ما يرام.

أغلقا هاتفيهما، وفعل محمود ما بوسعه ليجعل الأمور جميعها تحت السيطرة جاء رجل أعمال تابع لهذه الشركة ومعه عدد من الموظفين لديه، وقابلهما الصديقان أجمل مقابلة، مرت هذه اللحظة عليهما مثل الحلم الذي طالما

يحلمان به، جلسوا جميعهم، ودار الحوار بين صاحب الجزيرة ورجل الأعمال:

- –أنا سعيد جداً بمقابلتكما أنتما صديقان رائعان وفنانان حقيقيان .. من يجعل قطعة أرض بهذا الصرح العظيم سيكون في يوماً ما أكبر رجل أعمال في العالم .
- لا تصل لهذه الدرجة لقد تمنينا وحققنا فقط، وسوف نفعل أي شيء لجعل هذه الجزيرة رقم واحد في العالم، ويتمنى العالم كله أن يحضر إليها، ويشاهد كيف وصلت إلى هذه المكانة وماذا فعلنا للوصول بها هكذا، هذا حلم لا أكثر.

رد عليه قائلاً:

- وأنتم قادرين على تحقيق هذا الحلم ما دمتما أصدقاء وناجحان إلى الأبد.

ضحكا وتحدثا لبعض الوقت ثم قال له:

- أنا هنا اليوم لأعقد معكما إتفاقية سوف تجعلكما أثرى أثرياء العالم.

نظر الصديقان لبعضهما وعادا للنظر له مرة أخرى:

- يشرفنا هذا بدون أن نعرف ما هذا الأمر.

ضحك بصوت عالٍ وقال:

- لا بد أن تعرف الأمر أولاً، وتفكر ثانياً فيه، نحن نريد مساعدة حلفاءنا، وأنا سوف أقول لك نهاية الأمر أنا لا أحب الكلام المعسول، لقد إتفقنا مع عدد من الجزر المجاورة إليكم على أن نبني مركز سري داخل جبل في الجزيرة يتم فيه تصنيع الأسلحة والذخيرة ..

قاطعه أحمد (بصوت عالٍ):

- ماذا تقول ؟ !
- إهدأ أنا أفعل هذا؛ لمحاربة الفساد الذي يواجه بلادنا، نحن نحتاج كمية كبيرة جداً من الأسلحة والذخيرة لكي نحارب الذين يحاربوننا.

قال محمود:

- لكن لماذا جزيرتنا من ضمن الجزر التي تتعاقدوا معهم؟!

رد عليه قائلاً:

- لأن جزيرتكم أخذت مكانة عالمية في أقل وقت، ونحن نحتمي في هذا.

دخل الطبيب المعالج غرفته، وجده نائماً والحالة مستقرة، ذهب محمود لزيارة صديقه ثم سأل الممرضة عن حالته، أومأت الممرضة برأسها ثم أشارت بيديها:

- هذا هو طبيبه المعالج ..

ذهب إليه ليستفسر عن حالته:

- مع الأسف يا أستاذ محمود حالته النفسية صعبة، وكل فترة تتدهور أكثر، وهو لا يساعدنا على العلاج الكامل.
- أريد أن أدخل له الآن لكي أطمئن عليه.
- تفضل، ولكن هو نائم الآن بعد أن أعطيته حقنة مهدئة.
- لا تقلق أنا لن أزعجه.

دخل محمود إلى الغرفة وأغلق الباب، وقف أمام أحمد وهو نائم لينظر إليه نظرات استحقار وكبرياء... أخذ الكرسي وضعه بجانب فراشه، وصمت قليلاً ثم تحدث إليه:

- لماذا لا تمت!! ما الذي تمتلكه لتتمسك بالحياة إلى الآن؟! أخذت منك كل ما تملك لكن أنت السبب... كنت دائمًا تشعرني أنني أقل منك. أريدك أن ترجع بذاكرتك معي... لترى من السبب فيما وصلنا إليه.

محمود: ماذا سنفعل الآن ؟

أحمد: أنا لا أعلم إن كان حديثه صحيح أم خاطئ، وهذا شيء لو علم به أحد من الممكن أن يسيء لسمعة الجزيرة، والذي بنيته منذ سنين سيهدم في لحظة، سأرفض هذا العرض، لا أعلم إن كانت هذه الأسحلة سوف يتم استخدامها لمحاربة العدو أم أنها ستسخدم في شيء آخر.

محمود (في ذهنه : لا بد أن أدفعه لإمضاء هذا العقد مهما كلف الأمر) ثم قال له:

- لماذا تقول أنك قمت ببناءها وحدك؟ أنا أيضًا بدأت معك، وتعبت معك، والذى فعلته أنت في بنائها أنا فعلت أكثر منك فيه.
- ما هذه الطريقة؟ هل أنا أنكرت هذا؟ لماذا أخذت كلامي بهذا المعنى؟ أنا لا أقصد أبدًا.
- لهذا أرى أنك ستوافق على توقيع العقد معهم لفترة زمنية قليلة فقط، ولا تجدد هذا العقد مرة ثانية وهذا لمصلحة الجزيرة، هذا الرجل سوف ينقلنا نقلة كبيرة.
- لكن أنا رفضت هذه الصفقة لأن فيها مخاطرة كبيرة على الجزيرة
- ليست مخاطرة، ثم إن العقد .....

قاطعه أحمد:

- العقد! العقد سيكون باسمي، وعندما يحدث أي شئ غير مضبوط، سأقع أنا في الفخ، لأنني صاحب الجزيرة وهذا خطر علي، من الأفضل أن تخرج لمراقبة عملك، تفضل.

محمود:

- أنا آسف .. لكني كنت أحسب أننا شخص واحد، وأخاف عليك أكثر منك، ولهذا تحدثت معك وأدليت برأيي لا أكثر.

أحمد قام من مجلسه:

- لا أقصد أي إهانة لك، أنت تعلم أنك بمثابة أخي.

كان جالساً أمامه كالشخص الذي لا يمتلك من الحياة سوى الهواء الذي يتنفسه، يتحدث معه وهو نائم لا يشعر بأي شيء ..

- خرجت من عندك مكسوراً، وقلبي مليئ بالحزن، كنت أعتقد أننا إخوة بالفعل لكن لا، لقد تعاليت وشعرت أنك لست بحاجة إلي بجانبك، أو لا تريد أن تشاركني في أي أمر يخص الجزيرة مرة ثانية، أنا عاملتك بالحسنى لكن أنت جعلتني أتخذ قرارات ستندم أنت عليها، كنت أتمنى أن أتغاضى عن غضبي حينها ومحاولة

نسيان هذا الموقف لك، لكن إرادة الله جعلتك تمرض في نفس الوقت.

فى الجزيرة، تطرق السكرتيرة باب أحمد كثيراً لكنه لا يرد، شعرت بالقلق لأنها تعلم أنه موجود في المكتب فتحت الباب ودخلت، لتراه ملقى على الأرض، هرولت نحوه وحاولت إفاقته لكنه لم يسترد وعيه، صرخت منادية على محمود، حضر فوراً ، ونقلاه إلى المستشفى الخاصة بالجزيرة، أخبرهم الطبيب أنه يعاني من ذبحة صدرية، ولا بد من الراحة التامة لفترة.

محمود: إفعل ماتراه مناسباً يادكتور .

الدكتور: أكيد .. لا تقلق خيراً بإذن الله ..

جلس محمود بجانبه؛ لينتظره عندما يسترد وعيه، وعندما أفاق:

محمود أظهر له فرحة مصطنعة وقال:

- الحمد لله... أشعر أنني وحيداً من غيرك، أنت نصفي الثاني الذي أتكئ عليه، أريدك أن تخرج من هذه الحالة لترجع مكانك وتديره، أنا أعتذر لك عما صدر مني، من الممكن أن أكون السبب في الذي حدث لك.

أجاب أحمد (في هدوء):

- لا سبب ولا شيء فقط الله يريد أن يحدث هذا، لا تقلق يا صديقي أنا بخير .. لكن متى سأخرج جلوسي هنا به مخاطرة على العمل .

محمود: سأتحدث مع الدكتور وأعود إليك.

استفسر محمود من الدكتور عن حالته، ومتي سيخرج، لكنه أخبره أنه سوف يأخذ بعض الوقت لا يجب أن يخرج الآن.

عاد له محمود مرة ثانية وأخبره عن حديثه مع الدكتور، وأقنعه أنه سوف يباشر العمل في الجزيرة، ولن يشعر أحد من الموظفين بعدم وجوده، وأقنعه أيضاً أن يقوم بعمل توكيل رسمي له؛ لكي يستطيع أن يزاول مهام العمل؛ ويوقع على الأوراق والعقود الخاصة بالعمل، ،وأيضا لصرف الشيكات وتحويل الأموال وذلك حتى يسترد عافيته ويعود إلى عمله مرة أخرى، وعندما أمسك هذا التوكيل في يده كانت سعادته تملأ الكون، كان يضمر السوء في نيته لرفيق دربه، نسي أفضاله عليه تذكر فقط كيف عامله في آخر لقاء بينهما، وكان أول قرار له الموافقة على بناء هذا المركز، وخلال يومين تم توقيع العقود مع وجود شرط جزائي كبير في حالة فسخ العقد ..

محمود: لكنك تحتاج إلى الراحة، وأنت هكذا ستتعب.

أحمد: أنا أرتاح في عملي خذني إلى هناك.

محمود: كما ترى.

أخذه محمود إلى مكتبه، ودخل بعد تحية الموظفين له، والإطمئنان على حالته، جلس مستريحاً على الكرسي بضعة دقائق، ثم أمسك بيده بعض الأوراق التي أمامه لكي يعرف كيف كان حال الجزيرة من دونه.

قال له محمود: سأحضر لك أطعم فنجان قهوة لكي تطلع على الأوراق بتمعن.

أحمد (وهو مبتسم): أنت تقرأ أفكاري أنا أحتاج هذا الفنجان.

خرج محمود أمسك بهاتفه فوراً، وحدث رجل الأعمال ليخبره بأنه ليس من الضروري معرفة أحمد بشيء عن الذي حدث الآن، حتى لا يمرض مرة ثانية ووافق على أن لا يخبره شيء حتى يشفى تماماً، فرح محمود ودخل البوفيه الخاص بإدارة الجزيرة، ليحضر فنجان القهوة لكنه لا ينوي له على خير، أحضر القهوة وأدخلها له بنفسه.

****

أفاق أحمد من نومه، وجد محمود بجانبه يتشفى فيه وينظر إليه نظرة تعالي، وكبرياء ويشعره بأنه في طريقه لاتخاذ تلك الجزيرة لنفسه ..

محمود: أهلاً يا صاحب أكبر جزيرة فى العالم .

أحمد: أخرج من هنا أنا لا أريد أن أراك.

محمود (بضحكة ساخرة): لكن أنا أريد هذا.

وقف محمود من مقعده ليسير حول سريره ببطء:

- هل تعلم أننى سبب وجودك فى هذا المشفى، هل تعلم مدى كرهي لك منذ أن تعاليت علي ورفضت سماع قراري؟ من وقتها وأنا أتمنى أن أكسرك مثل ما أخرجتني من عندك مكسور وحزين، كنت أشعر أنني لا شيء... شيء بدون قيمة... يوافق على جميع أوامرك فقط لكنه بلا رأي... كنا متفقين أننا إخوة أنت بنفسك قلت لي هذا ..

أحمد بصراخ شديد:

- أخرج واتركني وحدي... أنت لعين أنا لا أريدك هنا.

محمود: أنت حسالة... لا تفكر أو تتخيل أنك في الجزيرة الموظفين يحضروا فوراً بكلمة منك... أصرخ أكثر لا أحد يحضر، ولا أحد يسمعك تعرف من الذي أوصلك إلى هذه الحالة!

****

في الجزيرة.....

دخل البوفية الخاص بالإدارة... أخرج من جيب بنطالة قارورة يوجد بها دواء هلاوس... وأحضر له فنجان تلو الآخر، حتى بدأ في التحدث مع نفسه والضحك أيضًا والصراخ... كان يرى أحد الموظفين يجري مسرعاً... مثل الطفل عندما يخف من أمه وهي تعاقبه، كان يفعل أشياء غير منضبطة حتى تحدث عنه كل الموظفين في المكان وبدأت سمعته تسوء.

****

في المستشفى.....

أحمد يبكى بشدة ويقول:

- أنا فعلت معك كل خير وأنت ...

محمود قاطعاً كلامه:

- لا أريد أن أسمع منك شيء الآن.

وأخرج من جيبه ورقة، وفتحها ووضعها أمام أحمد ليقول له:

- وقع على هذه الورقة، وإلا سأبلغ عنك أنك تتاجر في السلاح وجزيرتك كانت رمز الفساد لأنها توجد بها اللؤلؤة السوداء التي تصنع أسلحة وزخيرة بملايين الدولارات كل يوم...

أحمد يبكي ويرد:

- أنا سأبلغ عنك... أنا ليس لي علاقة بهذا الموضوع... أنت الذي فكرت وقررت ونفذت وجعلتني مجنوناً ملقى به في مستشفى لعلاج الأمراض النفسية..

محمود بعنف شديد:

- ستوقع على هذه الورقة في صمت... وإلا سأسلط أحداً عليك؛ ليقتلك وهذا سهل جداً... حقنة هواء أو علاج بالخطأ، ولن يشعر أحد كيف توفيت.

خاف منه أحمد ووقع على تلك الورقة... أمسك بها محمود، نظر إليها وضحك بصوت عال جداً، وقال له:

- هذه الورقة كانت عقد بيع للجزيرة منك... بمعنى أنني الآن أمتلك كل شيء لديك... سامحني يا صديقي أنت السبب.

تمت

صديقان

سومية الالفي

لم أكن أدري في البداية أنني أحيا بها، أعمل كي أستطيع أن أثبت لنفسي أنني جدير بها، أدرسُ بجدٍ؛ كي أظل معها في نفس قاعة المحاضرات، ولا أتخلف عنها، عكس العام السابق الذي رسبت فيه، لم تكن تهمني الدراسة ولا النجاح والرسوب بها، أو الذهاب للكلية، أما معها فكنت أحاول أن أخلق الوقت خلقاً بجوار عملي الشاق كي أراها ،وأنعم بالنظر لوجهها المنير، وتلك العيون الآسرة ،كنا نعد علاقتنا صداقة وإخوة لا أكثر، فالفروقات بيننا كبيرة، تعلقت بها منذ رأيتها أول مرة بالكلية، قصصت عليها حكايتي، كل ما يدور برأسي، لا أدري لمَ لمْ أخبئ، أو أتجمل؟ ربما هي من النوع الذي لا تملك أمامها إلا أن تسرح في عينيها، وتبوح بكل ما تنوء به نفسك، تنصت بهدوء، وبين الحين والآخر تلقي إليّ ببضع كلمات كالعسل يشفي ما في الصدور، إن كنت حزين تسكرني بنسائم رقتها وحنانها الذي لو وزع على الناس أجمع لكفاهم، وإن كنت مهموم أرى البسمات تتراقص على شفتيها فأنسى همومي، وإن كنت سعيداً أرى النور يخرج من بين الحاجبين، لم أصرح لمخلوق بوقوع قلبي أسير حبها، ولا حتى لنفسي؛ فقد كانت غارقة في حب شخص آخر، وكثيراً ما تحدثت عنه أمامي وعن قصة حبهما التي تتمنى أن تكلل بالنجاح، الغريب حقاً أني كنت أسعد لسعادتها، وأتمنى أن يتحقق حُملها، حتى لو كان لغيري هذا الحُلم، لم أترك فرصة من الممكن

أن أتواجد إلى جوارها إلا وكنت هناك، حتى لو كانت تمسك بيد حبيبها، وأنا أراها من بعيد، أبتسم حينما أرى الفرحة تغازل ثغرها، كانت أحيانًا تساورها بعض الشكوك من اهتمامي وتعلقي بها، لدرجة أنها سألتني ذات مرة (هل تحبني؟) كنت مراوغاً من النوع الجيد، حولت الأمر لمزحة وأكدت لها أنها أختي التي لم تلدها أمي (وصاحبي الجدع) على حد قولي وقتها، كنت كلما حدثت إحداهن أوهمت نفسي أني أحبها، وأجري إلي صديقتي أقص عليها الحكاية التي بلا أحداث لحبي الجديد، فتضحك في كل مرة وتخبرني إن هذا ليس بحب بل هو مجرد انجذاب وتسرع مني كعادتي وسينتهي، مرت سنوات أربع سراعاً، وددت لو لم تنتهى، ودعتها كوني أسكن بمحافظة أخرى غير التي كنا ندرس بها، ودعتها بسلام عقيم باليد، تمنيت لو أخذتها بين أحضاني وبكيت كالطفل الصغير (لا تتركيني يا فلقة النور في كبدي،لا تتركيني يا كل كلي، فإن كنتِ لابد راحلة فلتأخذي تلك المضغة التي لا تنبض إلا لكِ ولا تتركينها للموت المحتم) لكنه كان فقط سلام مأثوم باليد ...

بعدها جاهدت كثيرًا لمنع نفسي من محادثتها في الهاتف، ربما طلبت الرقم آلاف المرات، وأغلقت الاتصال قبل أن يرن الجرس، ألقيت بنفسي بين أمواج الحياة المتلاطمة، أصرعها مرة وتصرعني مرات، ألعن كل يوم قصر اليد، وضيق الحال التي حالت بين قلبي وحبه، أتذكر أن قلبها كان مسكون بغيري، فأهدأ قليلاً، وأعود وأتذكر عدد المرات التي جبنتُ فيها عن مصارحتها، وأقول هذا أفضل لكلانا، لو كانت علمت بحبي لها؛ لآثرت البعد وحرمتني من صداقتها تلك الحجة الواهية التي تذرعتها للقرب منها؛ أعلم تفكيرها العقلاني رغم رهافة حسها، إلى

أن أتى ذلك اليوم الذي رأيت فيه اسمها ينير شاشة هاتفي، أكذب عيناي وأردد الاسم، نعم هي، هي من تتصل:

- ألو (خفق قلبي بشدة ودمعت عيناي)
- ندل متفكرش تسأل على اللي كنت بتقول عليها أختك كل ده

سقطت في جب عميق لا قرار له، عاجز لساني عن الحركة، استأثرا روحي، وقلبي الحديث وحدهما (وحشتيني وحشتيني وحشتيني... .)

- ألو... صلاح أنت سامعني؟
- إزيك يا نور عامله إيه؟ (بصوت بالكاد يُسمع)
- كويس إنك لسه فاكر اسمي، مش وحشتك يا ندل؟
- وحشتيني جداً طبعاً (آه لو تعلمين يا حبيبتي !)
- بتصل عشان أعزمك على فرحي (بصوت مخنوق)

نزل الخبر كالصفعة على وجهي، لأتدارك نفسي وأخرج من تلك الحالة:

- ومالك صوتك مخنوق كده! مش دا اللي كنتي هتموتي عليه؟
- لا مش هو يا صلاح، أهلي رفضوا أحمد اللي كنت بحبه وهيجوزوني واحد تاني (كأنها تنتحب بصمت)

أسقط مرة أخرى في ذلك الجب الذي لا قرار له، لن تتزوج حبيبها، لن تتزوج ذلك الذي منعني من البوح بحبي، ليتني أخبرتها، ولكان يحدث ما يحدث، ربما

كنت ارتحت الآن، ربما أحبتني، ربما استطعت إقناع أهلها بي وكانت من نصيبي، ليتني... أفقت من شرودي على صوتها:

- كنت محتاجاك أوي الفترة اللي فاتت، إنت الوحيد اللي كنت هتحس بيا.
- طمنيني، قلقتيني كده..
- متقلقش أنا كويسه كانت فترة صعبة وعدت، عريسي إنسان كويس الحمد لله، وبيحبني .
- هو انتي في حد يعرفك من غير ما يحبك (دمعت عيناي فحاولت أن أخرج من تلك الحالة) ما عدا أنا طبعاً (محاولاً الضحك)
- المهم اوعى متجيش الفرح هزعل منك أوي، أنت عارف غلاوتك عندي.
- طبعاً طبعاً هاجي عشان أشوفك وانتي عاملة مكسوفة في الفستان الأبيض . (غص حلقي وتوقف الكلام)

أنهت المكالمة، وأنهت معها آخر أمل لحب لم يرى النور قط، أغلق باب غرفتي عليّ، وأظل حبيسها ليومين كاملين، لم أذهب لعرسها، لم أستطع أن أراها بفستانها الأبيض تُزف لغيري، ربما لو كنت أعلم أنها سعيدة بهذا الزواج لذهبت، فقط لأرى نور عينيها، فقد كنت حقاً أسعد لسعادتها.

مر عام كامل، أنغمس في العمل، أريد أن أثبت لنفسي أني كنتً الأحق بها، وأن ما حرمني منها شئ سهل المنال لا يستحق الوقوف عليه، لم أكتف بدراستي، واصلت التعلم، أخذت محاضرات في مجال عملي، لم يكن يوقفني شيء، أتفانى في عملي، يشيد بي مديريني، أترقى أسرع من غيري، أتخيلها تحفزني وتسعد لتقدمي، جهزت شقة كما كنت أحلم، لا بل كما كانت تحلم هي، هي من اختارت ألوان الحوائط، والأرضيات، والمفروشات، كل شيء كان كما تريد لكن من دونها، من دون لمستها، من دون رائحتها تعطر المكان، لابد أن أتزوج كي أرضي أمي، أما أنا فتكفيني أحلامي التي أحيا بها ليل نهار، أتخير عروس من عائلتي (بنت حلال كما يقولون).

يوم عرسي كان مميزاً حقاً، أتت حبيبتي تُزين الفستان الأبيض، وضعت يدها في يدي، الفرحة تتراقص في قلبينا، بل يتراقص العالم أجمع، وهل نهتم بالعالم من الأصل، العالم والعدم سواء الآن، مرت دقائق وأنا في الجنة، حتى سمعت صوت يردد (بحبك) مهلاً هذا ليس صوتها، أفيق لأرى عروسي بين يدي في قمة سعادتها، تداركت الأمر سريعاً كي لا تشعر تلك المسكينة بشيء، فلا ذنب لها، وماذا أفعل بقلب آثم، آثر ألا يخرج من ذلك الوهم حتى بعد ثلاث سنوات ..

انغمست في الحياة أكثر وأكثر، أتناسها حين، وتفرض الذكريات نفسها أحايين أخرى، أستجمع شجاعتي ذات يوم بعد تردد دام لسنوات، كانت قد هدأت خلالها وطأة الأشواق، أتصل برقمها الخاص، لا أتوقع نتيجة الاتصال..

أطمئن نفسي ،هي على كل حال صديقتي، وأريد أن أعرف أخبارها، وأزف إليها أخباري السعيدة..

وهل يقبل زوجها أن تحادث رجل آخر ؟! لست أنا الآخر بل هو الآخر وهي التي تحيا بداخلي... لكنك لا تحيا بداخلها، وما أدراك أنها مازالت تذكرك ؟! بالطبع تذكرني، أعرفها لن تنساني... فاجأني الهاتف، وأتاني صوت ليس بصوتها، صوت لا يحمل ذلك الدفء الذي أفتقده، بضع كلمات وعرفت أن الرقم خاطئ، لن أخطئ رقمها ما حييت، لقد غيرت رقمها، لم أتوقع ذلك، كيف تغير رقمها وتعلم أنني ربما... ربما ماذا لم أحاول أن أكلمها ولو لمرة واحدة طوال تلك السنوات ؟! كنت أحاول نسيانها، ابتعدت كي أستطيع أن أحيا، وأكمل طريقي حتى لو كان دونها...

سنوات أخرى مرت، ربما كانت بطيئة أو سريعة لا أدري، زحف خلالها النضج إلى العقل، والتروي إلى الفكر، والسكينة إلى القلب، لكنها مازالت هناك تختبئ في ذلك الركن المظلم، تخرج أحيانًا لتنير ذات حُلم، ثم تعود وتختبئ مجدداً، لعوب هي، آآآه يا حبيبتي لكم أحببت شقاوتك! جاءتني فكرة ذات يوم، لا أدرى لمَ لم أفكر فيها من ذي قبل، إنه (الفيس بوك) بحثت عن اسمها على تلك الشبكة العنكبوتية، لكن لا شيء ، كل يوم أبحث وأبحث ، وأجرب احتمالات لاسمها من الممكن أن تفكر فيها هي، لكن بلا جدوى .

عشر سنوات مرت، أعمل الآن بمركز أكبر، وراتب خيالي، أب لملاكين صغيرين هما كل حياتي، حياتي التي كانت تشبه كثيرًا صحراء جرداء لا يجعل الحياة تدب فيها إلا ضحكات الصغيران، حتى جاء ذلك اليوم... طلب صداقة على الفيس بوك، لم أهتم في بادئ الأمر، كنت مشغول في العمل، نظرة سريعة، انتفض قلبي من مكانه، إنه اسمها (نور) هل يعقل ذلك؟! قبلت الطلب، ودونما تفكير

وجدتني أكتب رسالة لامرأة لأول مرة في حياتي، فلا نساء في العالم غيرها، اكتفيت بزوجتي، والنور الذي تبقى من حبيبتي في أطياف ذكرى ..

- السلام عليكم
- وعليكم السلام
- أنتي نور الصاوي ...كلية العلوم ... جامعة القاهرة ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

جاء الرد بعد دقيقة بطول الدهر، أغرقني فيها العرق، وتبعثرت أوصالي:

- لا مش أنا.

يالها من خيبة، وشعور بالحسرة، وأدت أملي الوليد بكلمة:

- معذرة، اعتقدتك شخص آخر، هلغي الصداقة
- استنى صلاح أنا نور، كنت بهزر معاك
- نور ؟ نور ؟
- أيوا أنا نور جامعة القاهرة كلية العلوم

تدمع عيناي، ويرتعش جسدي، وأضحك ببلاهة:

- يااااااااه، معقولة بعد السنين دي كلها.
- دورت عليك كتير، النهاردة بس لقيت اسمك
- وحشتيني ، وحشتيني جداً.

صمتت لبرهة، ولاحظت التوتر في مؤشر الشاشة، من المؤكد أن كلماتي أحرجتها وخضبت وجنتيها بالحمرة، لفحها لهيب أشواقي دون قصد مني، فلم نعتد الحديث بذلك الشكل، من المؤكد أنها رجحت أن طول المدة جعلني لا أدرك كلماتي، ولم العجب! قالت إنها افتقدتني كثيرًا أيضًا، توالت الأحاديث عن الأخبار، والسنوات الماضية، كيف كانت؟ وما أثمرت؟ ضحكات من القلب على ذكريات بريئة، فضفضة كانت أسيرة قضبان الخوف لم تخرج إلا لأصدقاء الصبا، كنا ومازلنا نفهم بعضنا البعض، رغم التغييرات التي طرأت على شخصيتينا، إلا أننا مازلنا نحن .. أننا مازلنا نحن ... بعد أن كنا اعتدنا الفراق رفيق درب، اعتدنا الحديث يومياً، بل لم نترك فرصة لم نتحدث فيها، اعتدنا القرب، ربما أكثر من ذي قبل، راقها تطور شخصيتي كثيراً، مازالت كما هي تلقي النكات على كل شيء، لكنها ليست كما كانت ضحكتها مخنوقة، تخرج بشق النفس، أشعر أنها ليست سعيدة في حياتها، أردد دائمًا أنني مازالت أخيها، مازلت ذلك الصديق القديم، أتمنى لو طلبت مني شيء، أي شيء لأحققه لها، فقط أريد أن أشعر أنها سعيدة، أن أسمع تلك الضحكة التي كانت تخرج من القلب، فتنير أيامي، تخيلت أنها مازالت على دين ذلك الحب القديم، لكنها أكدت لي أنها نسته، بل بمرور الأيام تيقنت أنه لم يكن حب حقيقي يستطيع أن يواجه الحياة ويصمد فيها، وتلاشى أثره مع الأيام، أسرت إليّ بما يؤرق عليها حياتها، إنه زوجها يخونها، عاجلتها أنها ربما مخطئة، لكنها أكدت لي يقينها مما قالت، وما كانت ترميه بالباطل دون دليل أبدًا، كيف لذلك الغبي أن يخون ذلك الملاك، ويجد لذته مع أخرى، بل كيف ترى عيناه امرأة أخرى، إنه لا يقدر قيمة تلك الجوهرة التي لطالما

تودد الجميع إليها، وتمنى القرب منها، فقط مجرد القرب، وليس أن يكون بين أحضانها، (أحضانها !) إنها حلم لطالما أفقت قبل الوصول إليه ..

استطردت، وأخرجت خبيئة عشر سنوات من الخيانة والحزن، لم تثمر إلا عن حبيبة ابنتها الوحيدة، وبكت ..بكت بشدة، أكره أن أستشعر ضعفها وانكسارها، ليتني أستطيع أن ألملم ذلك اللؤلؤ المتناثر من عينيها، أشعر بقلبها يخفق عبر الأثير، يصل صدى خفقانه بين أضلعي فيثير ذلك الشعور بالحنق من كل شيء، من كل تلك الشاشات، والموجات، والجدران التي تحيل بيننا، ليتني أستطيع أن أخترق كل تلك الحواجز والعادات والتقاليد لأضمها إليّ وأكفكف دموعها، تنهرني نفسي، أعاجلها لن يكون إلا عناق بريء... طلبت منها أن نتقابل، لم ترفض بل رحبت بشدة، ما بين خفقات القلوب، اضطرابات الأنفاس، رعشات الأيدي، ودمعات يتراقصن خلف الجفون المترقبة، كان اللقاء، مازالت أنيقة، جميلة ذلك الجمال الهادئ الذي يأسر الألباب، لم يكن سلاماً باليد كما كنت أعلم يدي منذ أن اتفقنا على اللقاء حتى لا يفضحني ذراعيّ ويمتدا ليحتوياها، تلاشت خطتي أمام حنيني؛ فقد نسيت أن أمد يدي إليها، كان سلام بالعيون، احتضنتها عيناي، لم أشعر بتلك السعادة من ذي قبل، غطى خجلها محياها الوجل، جلست أمامي على الكرسي تزود بعينيها بعيدًا عني، لا يا حبيبتي دعيني أرتوي منهما حتى الثمالة، بعد كل تلك السنوات القاحلات، دعي نورك يسري إلى جسدي فيبدد ظلمائي، دعيني أرتشف ذلك الرحيق الندي يا فراشتي، دعيني أغرق ها هنا ولا أخرج أبدًا.... خرجت من ذلك الصمت اللذيذ، على صوتها:

- شكلك متغيرش كتير.

فتسارع ذلك النبض اللعين، ومنعني من الحديث مجدداً، تعجبت هي ونظرت لي تلك النظرة الساحرة:

- بحبك ..

لم أدر كيف نطقتها، كيف استطعت بعد كل تلك السنين فك ذلك الطلسم المعقود؟! ولا من أين واتتني الجرأة لنطق تلك الكلمة؟

بحبك... رددتها مراراً كأنها حُبست أربعة عشر عامًا لتخرج الآن، وددت لو لم أتوقف عن نطق تلك الكلمة التي لها أثر السحر على النفس... تلعثمت هي واضطربت خلجاتها، لم تدر ما تقوله:

- عارفة انك بتحبني زي اختك، احنا اخوات وأصدقاء مش كده..
- لا مش الحب ده، بحبك بكل كياني، مش ببالغ لو قلت بعشقك، طول عمري مفتون بيكي، لكن الظروف اللي كانت مانعاني إني أتكلم.
- أنا همشي..
- لا عشان خاطري متمشيش، متسيبنيش تاني، مش هكون غبي وأسيب حب عمري يبعد عني تاني، أنتي مش بتحبي جوزك، وهو بكل الأحوال خاين وما يستحقش ضوفرك، ممكن تطلبي الطلاق، أو تخلعيه القانون في صفك، وهنتجوز، بنتك هتكون زي بنتي، هحققلك كل

اللي نفسك فيه، أنا باعشقك، مقدرتش أنساكي لحظة واحدة طول عمري..

- أنت بتقول إيه يا صلاح أنت بالنسبالي صديق وبس، أخويا زي ما طول عمرنا بنقول، وعمري ما حسيت منك غير كده..
- خبيت مشاعري لأني كنت عارف حبك، وبعدها كان جوازك، لكن دلوقتي الوضع مختلف، لو كنتي مرتاحة في جوازك، كنت هبقى سعيد لسعادتك، ومكنتش قدرت أفكر كده...

تركتني ورحلت، والدموع تغرق وجهها، آلمني رحيلها، لكن ما آلمني أكثر دموعها، أأكون أنا سبب في دموعها، ليتني ما تسرعت وأخبرتها، ما الفائدة؟! سبق السيف العزل، ربما تتراجع عن قرارها، وتقدر احتياجي، ومدى حبي لها... عدت لبيتي محملاً بخيبة الأمل، وكسرة القلب، تجاهلت نداءات زوجتي، دخلت غرفتي، وألقيت بنفسي على الأريكة، أفقت من شرودي على صوت رسالة...

(أحبك، ربما اكتشفت ذلك متأخرًا بعد فراقنا، لكن ما أعلمه أني أحبك، وكلما كنت أهرب منك بادعاء حب أو زواج، كنت أحبك أكثر، لكنني امرأة شرقية، تعلمت أن أفني ذاتي من أجل غيري، لن أحرم ابنتي من أبيها، وأهدم بيتي من أجل سعادتي، رجاء لا تحاول محادثتي مجدداً، سنظل صديقان إلى الأبد)

تمت

عنقاء سوداو

سيد عبده عليوة

" حالكة السواد تلك الايام كحال رمال سوداو، الأرض المباركة، لن تمطر اليوم كما عودتهم بعد كل أربع سنوات من الجدب والشقاء الذي يسببه الجفاف، تجمع سكان الإقليم عند جبل سوداو المبارك يتدرعون يسألون السماء باسم الرياح المغبرة والأناشيد المعثرة وتعاويذ السحرة ونبوءات العرافين أن تفي وتمطر ولو دماً كما أمطرت أرض الملاعين بالجوار، كفي جفافاً فقد ضج القوم وهلك الحرث والنسل "

علي ظهر دابته المتوحشة كثة الشعر حمراء العينين وأرجلها القصيرة نسبة إلي حجم جسدها، تقدم الفارس اللامنطقي ابن سوداو البار وحامي حماها، يدعوهم إلى العودة إلى ديارهم أو يحاربون السماء، فلن تأبه لندائهم، فكيف لها وهي منذ أن وضعت بيضة السوداويين في تلك الأرض وهي لا ترسل لهم سوا اللعنة فقط، رمال سوداو دون باقي الصحراء وحجارة قاسية لا يفلها أي معدن سوا مياه الأمطار التي تأتي كل أربعة أعوام مرة واحدة فقط ليوم واحد وتتركنا نعمل عامين وعامين نهلك بما عملنا.

نظر لها كبير الكهنة بعد أن أنزل يديه المرفوعتين إلى السماء، نظرة امتعاض يتبعها سخط وكلمات كثيرة اهتزت لها قلوب الحضور أكثر من كلمات الفارس مفاداها أنك تكفر و ما أنت فيه من قوة بفضل تلك النعمات.

- اركعوا جميعاً ...

هكذا نادي المنادي من قبل غرب الجبل، فقد أتى الملك ومعه الوزراء ليحضروا يوم نعمة سوداو المباركة.

الجميع ركوع بين يدي الملك وفارسنا اللامنطقي مطاطئ رأسه إجلالاً للملك من فوق دابته، ما كان لعظيم مثله أن يركع مثل الرعية، أو يجثوا علي الأرض، ف (أشمس) أو الفارس اللامنطقي كما يدعونه، توازي قوته عشرة آلآف فارس ويزن في الحكمة عقله كرواسي مُدت بها الارض لتعدلها فكانت منبت للرأي الرشيد وحسن التصرف، واللامنطقي فيه أنه ولد وحده في عام عقور لم تنجب فيه النساء ذكراً، وُلد يومٌ كانت فيه الشمس لم تطلع وتذيق أهل سوداو بسياط لهبها كالعادة لهذا سماه الحكيم بيناوا أشمس، وتعهد برعايته وتربيته تحت ظل الملك الذي لم تفلح معه كل التعاليم الدينية فإثناءه عن كفره بما تدين به أرض سوداو.

الحكيم بيناوا الذي رحل منذ زمن بعد أن اطمئن علي بلوغ أشمس من الحكمة ما يجعله سيداً في قومه وما يروض به قوته الهائلة، فوجهها الصبي البالغ خمسة عشر عاماً سلفاً إلى أراضٍ بعيده تسمي أرض النعيم حيث كل شيء بوفره ألاس يشبهونه ولكنهم لا يعرفون عن سوداو شيئاً مما اضطرهم لطرده فأغار عليهم ليلاً ونهاراً حتي أفناهم وجر معه متاعهم يحمله العبيد والسبايا، هكذا شاع بين الناس ان أرض سوداو بها رجل لا غالب له حتي السماء التي يتدرعون لها لم تتعرض له يوماً، الحكيم الذي رحل ومعه كل الكتب التي أتي بها أشمس من أرض النعيم نصحة قبل أن يغادر أن لا يترك

سوداو يوماً فإن في الأجواء عنقاء سوداء عملاقة لونها كلون الرمال وحال أهل الإقليم تنتظر خروجه حتي تظفر من أهل سوداو انتقاماً منك بما فعلته بأرض أهل النعيم، وأعطاه ريشة سمراء لغراب أسقطة الجوع يوماً وقال له هدمت عشها وقتلت فراخها فتبعتك حتي تنتقم، أنت دون أهل سوداو لا تقوي ولا يقوي أهل سوداو إلا بك .

الملك موجهاً خطابه إلي أشمس:

- يا صاحب السيف الأغرس شكي لي كبير الكهنه اعتراضك علي ما نقدمه للرب في يوم كلئنا ونجدتنا .

تواضعاً نزل أشمس من علي دابته يتحدث إلى الملك، الذي ينتظر جوابا مقنعا منه:

- أنا يا سيدي خيرتهم بين الذهاب إلى الديار وأن يكفوا عن إزعاج السماء بأنينهم فقد تأخر الغوث أو يحاربونه لعله لا يعرف إلا سياسة القوة والشدة .

اعتدل الملك في مجلسه:

- ليس ها هنا أيها الفارس، فلتظهر بعض الإحترام أمام مذبح الرب .
- وهل تعبدونه كل يوم.

أجابه أشمس (اللامنطقي) الملك وقد تغيرت معالم وجهه وظهر عليه الغضب:

- لم يطلب الرب عبادته كل يوم فقط يريدنا هنا كل أربع سنوات لنتدرع ويرزقنا .

الفارس -: ولماذا لا نتضرع كل يوم ويرزقنا كل يوم. لم يكن أهل أرض النعيم يعبدونه كل عام أو عامين أو أربع بل كانوا يعملون فيرزقهم ولم يكن مذبحهم أعمى عن حاجاتهم ولم يكن ربهم أصم فلا يسمعها.

عند طريق بوشينا الصحراوي الموصل إلى جبال سوداو المباركة من العاصمة حيث مقر الحكم كان حارسين يجلسان على الطريق فغبت عليهم ريح ساخنة فبعثرت بذلك متاعهم وعدتهم وخيمتهم إلى داخل الصحراء ليلحقوا بها حيث علقت ستائر خيمتهم وحبالها بصخرة عند سفح جبل يبعد ميلين عن الطريق جبل شادوما الملعون الباقي ذكره من تراث الجدود أنه كان مشقة من يعيش حوله.

والريح تشتد أكثر حتى كانت تأخذ بأكوام الرمال السوداء والحجارة فتجعلها كالقذائف تهوي علي أجساد الحارسين ما دفعهم لكسر صنم خوفهم وتسلق جبل شادوما الملعون حتى يحتموا في مغارته المظلمة إلى أن تنتهي هوجة الرياح الغير مبررة.

كفيفة لم يمنعها من مغادرة مسكنها سوى أنها تركت منذ أن كانت فرخا صغيرا حتى قتل والديها، سيق إليها خير مما سيق إلي أرض سوداو من الماء والغذاء، فكانت الديدان تخرج من أجساد الحيوانات التي تأتي وتموت بلا سبب عند قدميها فتتحسسها وتأكل حتي اشتد عودها فأكلت ما دخل إلى جحرها قبل أن يموت ساعدها بذلك قوة حاسة الشم عندها التي عوضتها عن

فقدانها للنظر، فكانت تنتظر حتي تدخل الفريسة إلي كهفها وتتركها حتي تقترب ثم تنقض عليها وتطاردها حتي لو هربت، فعندما كانت في سن الخامسة عشر خرجت وراء فريسة كان جدي ضل طريقة خارج أرضه فأوقعه حظه العثر في أرض سوداو علي بعدأايام من وطنه وجد أخيراً عشباً وخرير ماء شعر به ينقطع فرطه داخل الكهف فظن أنه مأوي لا فخ، فالتقطته حاسة الشم الرادارية الطبيعية في أنف طائرنا، فاستطاع الجدي الإفلات منه هرباً بسرعه تجاوزت الخمسين ميلا في الساعة هنا كان شاباً صغيراً خرج ليتعلم الصيد فوجده يهرع حاول اصطياده ففشل فتتبعه . ووجده يلهث عند كل أرض ويمشي علي خطي تشبه حوافره فخطرت بباله الفكرة أن يتركه حتى يجتمع بقطيعه فيسوقهم جميعاً إلى أرض سوداو ولكن الجدي لم يقف إلا بعد سبعة أيام علي مشارف قرية أرضها خضراء يكثر خيرها ويشقها نهر فيعطي للطير والحيوان على حد سواء مع الإنسان الفرصة بحياة كريمة هانئة.

وقف عند التلة ينظر إلى القرية يريد أن يأخذ ما يستطيع ويعود إلى قومة فحياة البرية والقوة المفرطة عودته أن يعود ظافراً ولا يهم المكسب الأخلاقي فهل سيغير هذا شيء فيه.

الطائر متعثر في كهفه ولكنه لم يفقد بعد رائحة الجدي يتحسس خطاه حتى خرج إلى ضوء يزعج عيناه الضريرتين جعله يرف بجناحية ويغطيهما وسرعان ما شعر بالدوار فسقط حتى أفاق عند صخرة فحاول النهوض أكثر من مرة دون جدوى فهو مازال لم يعرف فيما تستخدم جناحاته ذات الريش الكث سوى الإتكاء عليها حين ينهض حتى أتته رياح صحراوية تداعب وجهه

فداعبها هو بجناحه حتى وجد أن تلك الحركات تجعل وزنه أخف في الهواء فجاهد معه حتي ارتفع إلى أعلى ودخل رئتيه هواء نظيف غير ذلك الهواء المخلوط بغبار الرمال، فكان أول قرار له هو تتبع حاسة الشم فإيجاد فريسته التي هربت وخرجت عن قوانين كهفه ألا وهي الإستسلام التام لرب الكهف.

في يوم عيدهم والمنح والبركات والمطر كان أهل سوداو يتابعون بشغف المناظرة بين الملك والفارس المظفر دائماً أشمس اللامنطقي. حول جدوى العمل وعدم الإتكال علي من لا يهمه أمرنا وأن هناك حتماً إله يجازي العمل بالبركة وليس الإتكال بمزيد من الرزق.
الحارسين داخل الكهف يتحسسون في الظلام ويتعثرون بين العظام والجيف المتحلله الرائحة فعلا نتنة. يتوجثون خيفة فيقررون المكوث عند باب الكهف حيث الضوء وسرعة الهرب إذا ما جد جديد في طريقهم إلى مدخل الكهف غطت مداخله المضيئة بأشعة الشمس ظلال كبيرة تقترب بسرعة هائلة فلمحوا شبحاً عملاقاً يطير مقبلا ويصعد إلى أعلى حيث رأس الجبل فتدحرج تحت أقدامه بعض الصخور منذرة بقدوم ما هو أسوأ أيها الحارسين.

عند التلة يقف الصبي غير راضٍ عن تقسيمه الأرزاق فقوم ينعمون وقوم يئنون، فدخل القرية يسوق خيرها أنعاماً ويلقي بكل من اقترب منه في الماء حتى كثر من حوله الجنود المدججين ولكنه كان بمثلهم وألف حتى استسلموا له فأمرهم بحمل كل شيء وأخذ كل من قاومه أسيرا ومن النساء

مثلهم حتى لا يعود فدفعوا له وهم صاغرين. وخرج من القرية بنعيم لأهل واديه.

في اليوم التالي كان قد وصل الطائر إلى القرية فلم يجد المقاومة فأخذ عليهم حتى أفناهم. كان ذلك ليلا فذاع بين المناطق أن أشمس سوداو دمر أرض النعيم فحبس ذلك عن موطنه كيد الطامعين لأنه بهم فقط لا غير ومن يطمع أصلا بأرض سوداو الملعونة.
الحارسين يلمحان طيفه العابر إلى أعلى من سرعته. فينظر أحدهم إلى أعلى فيرى طائر عظيم مهيب لم يرى في حجمه أو سواد ريشه من قبل كان عملاقاً حقاً، فعلم أنها هي العنقاء التي حكي عنها الحكيم سابقاً. أنذر صديقه وبدأوا ينزلون رويداً حتى لا تراهم أو تسمعهم، وهي بخبرة سنين في الصيد واتباع حاسة الشم القوية أدركت أنها أمام صيد سهل ولكنه لن يسمن أو يغني من جوع. فستتبع خطتها كما تفعل مع أغلب الفرائس ستتركهم حتى يعودوا إلى القطيع ثم تلحق بهم وتنقض علي الجميع فتأكل وتشبع ثم تعود بالباقي إلى كهفها.

بالفعل هرب الجنديين إلى نقطة حراستهما علي بعد ميلين وركبا دوابهم المفترسة وأسرعا إلى حيث يتجمع الملك وحاشيته وأهل سوداو عند جبل سوداو المبارك ليخبروهم بظهور العنقاء.

عند قدمي الملك يلهث رجلين من مشقة الطريق تتقطع أنفاسهم كما لو أنهم قطعوا المسافة عدواً علي الاقدام، يخبرانه ما رأوا فيستنجد الملك بأشمس الذي كان يجادله منذ قليل.

فيصرخ القائد في الجنود أن يتأهبوا. ويرسل الرسل إلى باقي مدن الإقليم ليجمع باقي الجيوش للدفاع عن سوداو ضد العنقاء الأسطورية التي حذر منها الحكيم سابقاً (في الواقع لم يقصد الحكيم بالعنقاء أن يكون طائر بل أن يكون نتيجة جهل أهل سوداو واستقوائهم بالباطل أن يكون وخيما عليهم فأخذ العلم الذي لا ينتفع به ورحل).

أشمس اللامنطقي عند سفح الجبل. بحربته ينتظر قدوم العنقاء، أراد الرجل أن يذهب لها بنفسه ولكن الملك منعه خوفا من أن تأتي من طريق آخر... ظل الجميع يتضرعون والسماء لا تُجب، حتى خيم الليل، وأتت جميع الجيوش من كل المناطق واحتمى الناس داخل الكهوف والخنادق التي صنعتها الجنود.

الصمت يخيم والقليل من شعل النار موقده لتنير لهم الطريق رواحا ومجيئا وخيمة الملك مزدحمة بالوزراء والقادة العسكريين المدنين لن يستطيعوا العودة إلي مدنهم حتي لا تأتي العنقاء الاسطورية فتبيدهم .

أشمس اللامنطقي يجلس وحيداً كعادته منذ أن تركه الحكيم بيناوا بعيداً عن الزحام وإزعاج الجنود والمدنيين .

يربت علي كتفه رجل عجوز . يعرفه تماما، إنه الحكيم بيناوا . عاد الآن . احتضنه ابنه الروحي أشمس حتي كاد أن يكسر عظامه .

متي عدت ولماذا؟ سأله أشمس

الحكيم غدا ستتم الثالثة والثلاثون يا أشمس وهكذا سيكون انقضي من عمرك فلكياً دورة كاملة حتماً يخبئ لك القدر شيئاً عظيماً غدا كيوم مولدك.

أخبره أشمس ساخراً:

- بقدوم العنقاء غدا موتي أو هلاك سوداو.

العنقاء في سماء سوداو فجراً تغير دون لهب أو صخور في أقدامها تقذف قلوب أهل الإقليم بالرعب، فتتوجه لها راجمات الحراب في السماء والسهام المشتعلة فلا تظهر بين ريشها الكثير شيئاً، فتعيد هي عليهمم الكرة مرة أخرى فتقترب من صفوف الجنود فتقتلعهم بحصونهم الضعيفة وجزء يسير من رمال الأرض وتلقي بهم من شاهم ثم تتبع أخري من الضربات من رأس الجبل فتطير نحوهه وتدمره وهكذا وطوال الليل وأشمس يلاحقها بحرابه التي تخطئها لسرعتها الكبيرة ودابته التي أنهكت من كثرة الملاحقة، ساعات من القتال والجميع قد أنهك ولم تبزغ حتي الآن طيف أو شعاع من آشعه الشمس حتي ميعاد الظهيرة والحكيم يراقب الوضع غير مسرور ولم يتبق في ساحة القتال سوا أشمس وحده والجيع بين مختبئ بين الصخور أو ميت أو مصاب حتي دابة أشمس تركته حين أخطأ أحد الجنود فرماها بحربة في رقبتها. الملك في خندق والوزراء والكهنة والحارسين الذين رأيا العنقاء أولاً مئات القتلى وآلاف المصابين أمامها ومازالت تبحث. عن الرائحة التي تتبعها

الجنود، هبطت من السماء علي الأرض بجانب الخندق الذي يحتمي فيه الجنديين لهربا منه تجاه الخندق المحصن الذي يختبئ فيه الملك ووزراء والكهنة فيضربها الجنود حراس الملك بالسهام فتلتفت لهم وتهجم بمنقارها الحاد عليهم فتفتك بهم داخل الخندق ويختلط دماء الملك بالكهنة بوزراءه وجنوده، بينما كان أشمس يسرع لنجدة مليكه فلألقى بحربته في عين العنقاء المغلقة فاخترقتها وخرجت من الخلف، فأودت بها في لحظات.

يجلس علي ركبتيه اللتان لم يثنيهما أمام شيئاً من قبل ويبكي كطفل صغير فشل في مهمامه.

الحكيم اليوم هو يوم ميلاد جديد لك ولسوداو . اليوم أنت الحاكم بفجر جديد . احكم فيهم بما تعلمت في حياتك السابقة ، كنت قريب منك لم ارحل أربيك علي عيني، كنت أعلم أنه سيأتي يوم وتنقذ به الأجيال القادمة وتخرج الحاضرة من الظلمات حتي لو اتفق دين الملك مع الرعية فيبقي الجهل جهل والظلم ظلم .

في اليوم التالي وقف أشمس اللامنطقي أمام جمور شعب سوداو يخبرهم أنه أصبح مليكهم الجديد وسيتبعوا دينه الجديد وختم خطابه مع انتصاف ضوء آشعه الشمس فوق رؤوسهم أن اعملو

تمت

الروح الأبدية

فايزة عطا الله

جاءت إلى هذا الحى الهادئ مع والدايها منذ شهور قليلة لا تعرف فيه أحد لكنه دائما يشعرها بالغربة، تنظر الى الشوارع والبنايات فيزيد إفتقادها لحيها القديم بضجيجه ومبانيه المتهالكة، تتذكر صديقاتها وصوت جيرانها فلا يرد عليها سوى الصمت، بكت بالدموع حينما قرر والديها أن يتركوا ذكرياتهم وحياتهم و يصبحوا من سكان ذلك الحى الراقى، لم تستطع مقاومتهم واستسلمت لرغبتهم والحزن يغلف قلبها، كانت الكتب فقط هى من تؤنس وحدتها فتجلس بغرفتها بالساعات لا تسمع سوى أفكارها، حاول والديها كثيرا أن يخرجاها من عزلتها لكن دون فائدة فالمسافات أصبحت شاسعة بينهما .

كم تمنت فى الماضى أن يكون لها أخوة وأخوات كُثر ولكن الله لم يقدر لها ذلك وعندما كبرت تمنت أن تعثر على فارس أحلامها بقصة رومانسية كما تقرأ فى رواياتها، ولكن كيف ووالدها يفرض عليها قيود قاسية فهى لا تخرج إلا بصحبته حتى دراستها الجامعية اختار هو لها كلية للبنات فقط كان يخاف عليها لدرجة أنه كان يوصلها يوميا للجامعة وينتظرها ليعود

بها للمنزل، فخوفه على وحيدته لم يكن له مثيل، لكنه كان حنونا ويحب أن يراها سعيدة فكان يعوضها دائما بشراء الكثير والكثير من الكتب التى تعشقها.

كانت كتبها متنوعة ما بين الشعر والروايات و كتب التاريخ وفى يوم كانت تقرأ فى كتاب تاريخ قديم ذا ورق أصفر متهالك يحمل غلافه تاريخ طباعة يعود لأوائل القرن الماضى لا تعلم من أين أتى به والدها، كل ما أخبرها عنه أنه وجده أمام منزلهم سأل حارس العقار فلم يستدل على صاحبه ولما عجز عن رده لصاحبه أهداه لها، لن تنسى سعادتها وقت أن أتى به إليها فهى تعشق الكتب القديمة ذات الأوراق الصفراء وما زاد سعادتها أنه كتابا للتاريخ، كان الكتاب يتكلم عن المصريين القدماء وحياتهم عاداتهم وتقاليدهم ملابسهم وعائلتهم، ويحتوى على الكثير من الصور وفى الفصل العشرين الذى يتحدث عن أصول بعض العائلات تحديدا الصفحة 323 لفتت نظرها صورة لتمثال شاب وسيم له عينان واسعتان تشعان حزنا جسيما ، رُسمت على شفتيه شبح إبتسامة يرتدى ملابس أنيقة تدل على أنه من طبقة راقية ، شعرت تجاه الصورة بآحساس غريب لا تعرف لماذا ظلت تحملق فى عينيه هكذا ولا لماذا ابتسمت له كالبلهاء والغريب أنها بدأت تحدثه وكأنه سيرد عليها شعرت كأنها تعرفه منذ سنين .

حاولت كثيرا البحث عن شخصيته فلم تفلح فكل ما كُتب عنه أنه مجرد وجه لمومياء مصرية تم اكتشافها بالقرن التاسع عشر ضمن العديد من المميااوات بالفيوم، تعلقت به لدرجة أنها بدأت تراه يوميا فى أحلامها بزيه الأبيض، تارة أتى إليها من طريق طويل، وتارة أخرى يركب فرس أبيض أصيل ويتقدم به

نحوها، وكل مرة ينتهى الحلم باقترابه منها وهمسه باسمها، أصبحت تتمنى النوم على أمل لقائه، ولا تنام إلا والكتاب بين يديها، وفى يوم استفاقت من نومها على ضوء مبهر بغرفتها و صوت أزيز يصدر من كتابها، انتابها الفزع جلست على سريرها وهي تنظر للكتاب لاهثة لا تعرف ماذا يحدث أو ماذا تفعل، همت بالصراخ لكنها فوجئت بصوته ينادي باسمها، نعم إنه صوته كما تسمعه فى أحلامها لقد صارت تميز نبرة صوته مخارج حروفه أصبحت تعرف حتى صوت أنفاسه.

نادى الصوت ثانية ودعاها للاقتراب من الكتاب، فكرت أن تصرخ وتفر هاربة لولا خيانة قدميها لها حتى صوتها احتبس فى حنجرتها، اتسعت عيناها فى فزع عندما تحرك الكتاب من موضعه وارتفع منتصبا أمام عينيها، أصبحت صفحاته أقرب لشاشة الهاتف الجوال ظهرت صورة الشاب واضحة جلية أمامها، يا إلهى إنه حي بل وينظر نحوها ويبتسم، جاءها صوته حنونا عذبا بنبرات هادئة محاولا طمأنتها قائلا:

- لا تخافي يا جميلة.

اختلطت المشاعر بداخلها ما بين خوف شديد وسعادة غامرة فما يحدث ضربا من الجنون كيف أعيد هذا الشاب للحياة ثانية أنه يبدو حيا وبصحة جيدة، كيف تحول من صورة لمومياء لإنسان حي يرزق؟ انتابت جسدها قشعريرة حينما همس باسمها ثانية:

- جميلة... أنتِ مخلصتي من عذابي أرجوك لا تخذليني.

بصعوبة خرج صوتها متهدج:

- أنا مخلصتك من عذابك؟ كيف؟ وكيف عرفت اسمي؟

ابتسم الفتى ابتسامة واسعة وهو يقول:

- كيف لا أعرفك يا نفرت .

قالت بذهول وجسدها يرتجف بشدة:

- نفرت! أنا لا أفهم شيئا مما تعنيه! كيف تفهم لغتي؟ بل كيف تتحدث لغتنا؟ كيف أتيت لزمننا.

ضحك ضحكة واسعة وقال:

- فلتهدئي يا جميلة سأشرح لك كل شيء أولا أعرفك بنفسي أنا بانحح اسمي يعني (الروح الأبدية) ونفرت يعني جميلة بلغة زمنكم الحالي، أنا لم آت لزمنكم كل ما في الأمر أنني استطعت الاتصال بك من زمني.

تدلى فكها ببلاهه وقالت:

- ماذا تعنى باتصال هل تكلمنى من هذا الكتاب عبر آلاف السنين.

هز رأسه موافقا وقال:

- نعم أعلم أن هذا شئ يصعب عليك استيعابه ولكن هذا ما يحدث الآن بالفعل، فأنا الآن أحدثك من قصري، وأعلم أنك ببيتك وفي

غرفتك، بل أعلم عنك كل شيء فلقد راقبتك طويلا قبل صدور القرار بظهوري لك وحديثي معك.

تمتمت جميلة ولم يفارقها ذهولها واختنق صوتها بالبكاء:

- كيف كنت تراقبني! وأي قرار وممن أرجوك أنا لا أفهم شيئًا!

ضحك بانحح ضحكة واسعة وقال:

- اهدئي يا صغيرتي ودعيني أشرح لك كل شيء، إن وطننا في خطر تربص به الأعداء والمتآمرين وذوي الروح الخبيثة، وبصفتي كبير الفرسان ومن مستشاري الملك المنادي بتعاليم النور والحق، وبحكم دراستي للكثير من العلوم واشتراكي مع عديد من كهنتنا وعلماء عصرنا في العديد من الإنجازات العظيمة ببلادنا توصلنا إلى اختراع جديد يمكننا من رؤية أعدائنا عن بعد وسماع ما يقولون ومعرفة ما يفعلون واستطعنا بفضل هذا الإختراع هزيمة أعدائنا هزيمة منكرة، سعد ملكنا المعظم و سعدنا بذلك كثيرا، وبعد عدة شهور كنا نخطط لغزو بلاد عدونا من طريق لا يعلمه غيرنا فوجئنا باستعدادهم ومهاجمتهم لجيشنا و للأسف تم هزيمتنا، وقتها أدركنا أنه يوجد بيننا خائن هو من باع لعدونا هذا الإختراع العظيم الذى تم استخدامه ضدنا، وبعد كثير من البحث والتحقيقات عرفنا

الخائن أنه (آى) ذلك الفتى المتقد ذكاءً كان تلميذي المقرب أعجبت بنشاطه في العمل وسرعة بديهته كان يفهم ما أريد قبل أن أنطق به، تقرب لي حتى صار ساعدي الأيمن، كنت أشعر بحبه للمال والشهرة فسعيت له لدى ملكنا الأعظم فأغدق عليه بالكثير من المال وقلده أعلى المناصب بالنسبة لفتى في مثل عمره، أغتر الفتى وصدق أنه أعظم علماء عصره والغرور يفسد القلب يا صغيرتي، ولما فسد قلبه استطاع أعدائنا إغواءه وشراء الإختراع منه، ولما اكتشفنا أمره هرب لزمنكم.

قالت جميلة:

- شيء لا يصدقه عقل، ولكن كيف هرب لزمننا؟

قال بصوت حزين:

- ذلك اللعين استغل قربه مني وسرق الدراسة التي كنت أعدها لتطوير لوح المراقبة لجعله يستطيع أن ينقلنا عبر العصور المختلفة، حيث يعمل هذا اللوح بالطاقة المنبعثة من شمس الأله العظيمة مع الطاقة الممزوجة بأثير أجساد البشر، فيعمل اللوح أثناء وقوف شخص ما تحت شمس صحرائنا العظيمة ويركز أفكاره فى هدف محدد

ويشعر به بكل حواسه أثناء ترديد كلمات معينه، لقد جربنا بالفعل كثيرا ولكننا لم ننجح .

قالت جميلة:

- طاقة شمسية مع طاقة ممزوجة بأثير أجساد البشر يا إلهى لقد سبقتمونا بالآف الأعوام بعلمكم، سمعت كثير عن تقدمكم ولكننى لم أتخيل وصولكم لهذه الدرجة.

قال بانحح بصوت حزين:

- ذلك اللعين عكف على الإختراع حتى إستطاع تطويره وفعل فعلته وهرب إلى زمنكم وسكن بالمنزل المجاور لكى تماما بنفس الطابق، لكنه لم يكن يعلم أننى أيضا عكفت على التطوير سرا ولم أكتفى بالتوصل للسفر عبر العصور فقط بل توصلت لرصد ذبذبات جسد جميع الأشخاص فى كل الأزمان وذلك اللعين بمجرد هروبه استطعت تحديد زمانه ومكانه ولكنى للأسف لم أنجح إلى الآن فى إختراق الحاجز الزمنى مثله ولن أستطيع الأنتقام منه إلا بمساعدتك.

قالت جميلة:

- مساعدتى أنا ! كيف ؟

قال بانحح بلهجة يغلب عليها الرجاء:

- تحسسى بيدك أسفل الغلاف الخلفي لكتابك ورددي خلفي كل ما سأقوله سيحدث اتصال بين أجسادنا بعدها سأستطيع إرسال لوح زجاجي صغير إليك هو أحدث أبتكارات علمائنا لو استطاعتي وضعه داخل منزله نستطيع نحن جذبه ثانية لزمننا، أرجوكِ ساعديني وساعدي وطننا في الانتقام من ذلك الخائن.

تنهدت جميلة وشعرت بارتباك لا تدري كيف تتصرف هل تصدقه وتساعده أم ترفض، شيء ما بداخلها يخبرها بصدقه نظرت إليه طويلا ثم قالت في حسم:

- حسنا سأساعدك.

بانحح بارتياح:

- شكرا لك ايتها الصغيرة الجميلة ، هيا ضعى يدك أسفل الغلاف ورددى معى ، همس بكلمات غريبة ورددت جميلة الكلمات بسهولة عجز عقلها عن استيعابها وفجأة وجدت شريحة شفافة صغيرة بيدها.

هتف بانحح:

- أشكرك باسم الرب يا نفرت المحببة، سأتركك الآن على موعد بلقاء قريب.

همت جميلة بالكلام ولكن فجأة خفت صوت بانحح واختفى الضوء وهبط الكتاب بجوارها، عاد كل شيء لحالته الطبيعية إلا هي، لا تعلم كيف انقضت ليلتها، نظرت للشريحة التي ما زالت بيدها وحسمت أمرها وقررت التوجه لبيت جارها قبل أن يستيقظ والدها ويحاصرها بأسئلته، ولكن بأي حيلة ستطرق بابه وهي حتى لا تعرف شكله، اهتدى عقلها لحيلة قد تبدو مقنعة وفتحت باب شقتها برفق وتسللت على أطراف أصابعها لبابه، دق قلبها بعنف وتدفق الدم لوجهها حتي صار بلون الشفق، ارتعشت يدها استجمعت قوتها ودقت الجرس بعد قليل جاءها صوته من الداخل، فتح الباب شاب عشريني شديد الوسامة متوسط الطول ذو نظرة حادة ولمعة مخيفة بعينيه حينما وقع بصره على وجهها المرتبك ابتسم بهدوء وهز رأسه منتظرا حديثها.

قالت جميلة بتلعثم:

- أنا... أنا جارتك يا سيدي أعتذر عن مجيئي فى هذا الوقت المبكر لكننى شممت رائحة غاز قوية تنبعث من بيتك فشعرت بالخطر وأن من واجبى تنبيهك.

رد الشاب مندهشا:

- غاز؟ لا أشم شيء مطلقا.

قالت جميلة:

- كيف يا سيدي أرجوك أن تلقي نظرة بالداخل وتخبرنى لأتأكد أنه ليس من دورنا، أخشى أن أزعج باقى الجيران في هذا الوقت من الصباح.

لم يجد الفتى بدا من الإنصياع لطلبها ودخل يلقي نظرة للداخل وهنا تقدمت جميلة خطوة للداخل وألقت شريحتها بجوار الحائط بداخل المنزل، رجع الفتى لجميلة وقد زادت ابتسامته، وقال لها بهدوء:

- لا يوجد شئ بالداخل لقد تأكدت تماما.

هزت رأسها بتفهم وهمهمت بكلمات اعتذار عن إزعاجه في هذا الوقت همت بالرحيل لكنها فوجئت به يمسك يدها بقوة وهو يقول ولما العجلة فلتتفضلى للداخل قليلا يوجد شيء ما سوف ينال إعجابك، همت بالصراخ لكنه كتم أنفاسها وجذبها للداخل بسرعة وأغلق الباب، حملقت فيه جميلة في فزع وقلبها يكاد يتوقف من شدة الخوف، وزاد من خوفها لمعة عينيه الغريبة والبرودة الشديدة المنبعثة من جسده، حاولت أن تستغيث قاومت قبضته بكل قوتها وأخيرا استطاعت الإفلات منه، ضحك مستهزئا وقال:

- من أنت ولماذا جئت أيتها الجاسوسة؟

قالت بتلعثم:

- أنت أكيد مجنون أنا جميلة جارتك بالشقة المقابلة وأنت تعلم لماذا جئت إليك والآن اتركني وإلا ستندم عندما يتجمع والداي وجيراننا على صوت صراخي

ضحك بجنون واقترب منها أكثر وأحاط رقبتها بيديه وقال:

- ولماذ أندم! بل أنتِ من ستندمين أيتها الجاسوسة اللعينة

ازدادت قوة قبضته حول رقبتها وفجأة دوى أزيز قوي وضوء ساطع اهتز له جسد الفتى بقوة وارتج كمن أصابته نوبة صرع أفلت جميلة التى التصقت بالحائط فى فزع وهى تراقب وقوعه على الأرض وصراخه كمن مسه مس أخد يتلوى بقوة أحاط جسده شعاع ضوء قوى حتى حجبه تماما، وقفت جميلة تلتقط أنفاسها بذهول فلقد اختفى الشاب ولم يعد له أثر، ذلك يعني نجاحها فى مهمتها وصدق بانحح فى كل ما رواه لها.

رجعت لبيتها بهدوء وأغلقت باب غرفتها، استلقت على سريرها وأمسكت كتابها وانخرطت فى بكاء مرير، فى ذلك اليوم لم تغادر جميلة غرفتها على أمل إتصال بانحح بها كما وعدها ولم تستطيع التوقف لحظة فى التفكير فيما حدث معها.

بعد ثلاث شهور دخل والدها غرفتها بسعادة وقال:

- كيف حال جميلتى اليوم لقد أحضرت لك مفاجأة ستساعد فى شفائك تماما هل تذكرين كتاب التاريخ الذى أحضرته لك منذ فترة

وسعدتِ به لقد وجدت عند بائع الصحف أسفل منزلنا الجزء الثاني منه وأحضرته لك

مد يده إليها بكتاب ذا ورق أصفر متهالك التقطته بسعادة بعد أن قفزت من سريرها وقبلت والدها وشكرته فهذه أجمل هدية بالنسبة لها، خرج الوالد سعيدا وهو يقول:

- لو هذا علاجك سوف أحضر لك كل يوم كتابا

خرج وتمتمت جميلة:

- هذا علاج عقلي يا أبي لكن قلبي ليس له علاج .

فتحت الكتاب وبدأت بتصفح صفحاته بلهفة عسى أن تجد خبرا عن بانحح وآى، وفجأة هالها صوره لتمثال لرجل و امرأة يبتسمان فى سعادة، المرأة كانت صورة طبق الأصل منها والرجل هو بانحح، وكتب تحت الصورة (صورة جدارية لمقبرة الكاهن الأكبر والعالم بانحح وزوجته الجميلة نفرت .

تمت

صغيرتي

فوزي فتحي

مرات عدة ترى غمامة لا تعلم عنها شيئًا، جاءت من العدم، أو موجودة بفعل فاعل لا يُرى بعين البشر، لا يهم كثيرًا.

هناك أشياء أخرى تحوم حولك في أوقات الذروة، وهناك... تلك الأنفاس الحارة التي تلامس جسدك بهدوء في الليل، أنت أيضًا لا تعلم عنها شيء؛ أنت مسكين الآن، وخائف جدًا، لربما كانت القشعريرة التي أصابتك هي السبب، ربما كان سببها اصطدام شيطان بك؛ تاركًا من خلفه تلك الهزات المرعبة؛ كل شيء ربما.

عيون تراقب عن قرب، تستشعر أنت وجودها، وتسمع صوت غير مألوف على الإطلاق، حينها... تتحرك ببطء في أرجاء منزلك، وأنت حذر، تبحث عن سبب ذلك الصوت، لربما ارتاح بالك؛ لو وجدت مصدره، إنها زجاجة المياه اللعينة، هي من تصدر ذلك الصوت من فوهتها.

للقلب عينان ترى الأشياء المرعبة دون أن تراها عينك، هكذا اتفقنا أم لا، فما بالك برجل تبنى شيطانة؟.

يقول:

- ظلت روحها تطاردني، تتفنن في مضايقتي، حتى بدأت أعتقد بأنني ميت ميت لا محالة!!

في البداية، لم أكن أعلم بأن الروح يمكنها أن تعود لتنتقم ، لكنه القدر أبى أن يتركني وشأني!

قمت بقتلها بكلتا يدي، إنه الخمر عندما يسلب العقول، ويجعل الرؤوس بلا فهم، أو حس، أو تفكير، فكيف لصغيرة لم يتعدى عمرها الحادية عشر أن ترتكب جريمة، كيف؟!

صغيرة هي على سرقة ساعتي الثمينة من غرفة مكتبي، أتذكر ذلك اليوم جيداً، عندما سألتها بعيناي الحمراوين المشبعتين بالرؤية الزائفة إثر تناولي للخمر، قالت:

- لا... لم أرها مطلقاً سيدي، ولم أدخل غرفة مكتبك منذ يومين.

كنت ثائراً كالمجنون حينها، أتخبط هنا وهناك باحثاً عن ساعتي، وعندما باءت محاولاتي بالفشل، ضربتُ الصغيرة بقوة دون وعي، حتى ماتت.

تقول الزوجة:

- كنت في انتظار زوجي عند شقيقته لكنه اتصل بي، وطلب مني العودة إلي المنزل بعد أن اعتذر عن عدم مجيئه إلى هنا.

كان يتحدث في الهاتف بسرعة على عكس عادته، لكنه في اتصال آخر أخبرني بأن أتعجل الوصول إلي البيت، ورفض أن يخبرني بأمر استعجاله وقال:

- هناك مفاجأة في انتظارك.

حسبت بأنه جاء بخادمة؛ لتساعدني في أعمال المنزل؛ وكنت أخشى أن يكون فعلها حقاً؛ الخمر دمر رأسه تماماً؛ لذا كنت أرفض تعيينهم دون استثناء أحد؛ حتى يؤكد لي زوجي بأنه حقاً امتنع عن شرب الخمر.

يقول الزوج:

- كنت أعلم بأنها ستقود عربتها في بطء؛ لأنها لم تكن ممن يجيدون قيادة السيارات بسرعة؛ أخذت الصغيرة إلى الحمام كي تغتسل بالماء الدافئ والصابون، حتى تنعم بالنظافة وتتخلص من تلك الأتربة، والأوساخ المتراكمة على بشرتها البيضاء، وعلى عينيها الخضراوين، في حين قام البواب بإحضار ما أمرته به من ملابس جديدة للصغيرة.

ندمت على ما فعلته في السابق، وقد مرت سنوات طويلة، ولا أرغب في شيء في هذه الحياة بغير طفلة أكون لها أب... وها هو القدر جعلني أعثر على طفلة في الطريق الصحراوي وأنا أقود سيارتي، سأعتني بها حتمًا، لعل الله يغفر لي ذنب قد ارتكبته بحق طفلة بريئة.

تقول الزوجة:

- كانت البوابة الخاصة بالمنزل مفتوحة، وكنت أشعر بغرابة شديدة تجاه ذلك! الأنوار كلها مضاءة وكنت أسمع أصوات؟ يبدو إنها تأتي من الداخل! فيلم كرتون! هل هيأ الخمر لزوجي بأنه طفل صغير، فتحت الباب، ودخلت، رأيت ما جعلني في حالة من الذهول، طفلة رائعة الجمال بشعر أسود طويل وبشرة بيضاء مائلة إلي الإحمرار بها بعض النقاط البنية علي وجنتيها! لها عينان خضراوان، تجلس على المقعد

المحبب لدي أمام التلفاز، تشاهد فيلم كرتون، وكان زوجي جالساً على مقربة منها يرمقني بنظرات كلها بهجة وفرح.

كان الزوج عائداً من الأسكندرية إلى القاهرة بعد إتمام صفقة ما تخص مصنعه، تتسابق عجلات سيارته، وكأنه في حلقة سباق، هو دائم القيادة بسرعات جنونية صوت فرقته المحببه (باك استريت بويز) تحدث ضجة عالية تكاد أن تنفجر السماعات الخلفية على إثرها... صوت الفرامل المفاجئ يجعل السيارة تدور عدة مرات حول نفسها، حتى كادت أن تنقلب! يتنفس الصعداء، ويلتقط بعض الأنفاس الباردة بسرعة قبل أن ينزل من السيارة ليرى! هناك طفلة صغيرة كانت تقف في منتصف الطريق بملابس ممزقة وبحالة يرثي لها! من أين جاءت؟ لماذا تقف هكذا وسط طريق لا تتباطئ فيه السيارات، ولن تقف! يقترب منها ويمد يده ممسكاً بيدها الصغيرة جدًا. الصغيرة ترتعش برداً... يحملها إلي سيارته ويسألها، لم تجب، حتى إنها لم تفتح فمها، فقط... كانت تبكي وهي ترتعش... يتحدث إلى نفسه:

- لقد حرمنا الله من الإنجاب، تبنى هذه الطفلة يا رجل، اعتن بها... كفر عن ذنبك فحسب.

تقول الزوجة:

- كنت أراها في بعض الأحيان وكأنها تتحدث مع أحد؟ وعندما كنت أسألها كانت تبتسم لي وهي تقول "أنا فقط أحرك فمي يا أمي" .

كنت قد طلبت منها في الأيام القليلة الماضية بأن تناديني بأمي؛ هذه المرة، رأيتها تتحدث مع دمية احتفظت بها منذ زمن، وأوقات أخرى أراها تتحدث مع شخص غير مرئي، وأنا أراقبها من ثقب باب غرفتها.

يقول الزوج:

- أصبح البيت ممتلئ بأحياء نشعر بهم ولا نراهم، حتى أني في بعض الأوقات أشعر بأنفاس خبيثة تلفح وجهي، وأنا أشاهد التلفاز.

ذات مرة وجدت بعض الدماء تسيل من أنفي، دماء سوداء، وكان هناك من يربت على كتفي بلطف... يد معروقة لسيدة عجوز ملطخة بالدماء.

تقول الزوجة:

- أصبحت حياتنا عبارة عن جحيم، جماد يتحرك وأخر يختفي ثم يظهر في مكان آخر! هناك من يحاول مضايقتي، ويرفع عني الغطاء وأنا نائمة، حتى أني أشعر أحيانًا بيد تلامسني... أرى خيالات، وأسمع أصوات.

يقول الزوج:

- اختفت الفتاة فجأة، ولم نعد نراها، لكنها ظهرت مرة أخرى على هيئة شبح، تتجول ليلاً في أرجاء البيت، رأيتها ذات مرة بملامح من قمت بقتلها منذ سنوات مضت، ثم أخبرتني بأن كل شيء سيصبح علي ما يرام ؛ لكن... بعد أن تقتلني.

أخيرًا... دعونا نتفق على أمر وأحد، وهو أن كل حكاية حقيقية تروى من قبل شخص ما تبث، خشية أن يضلنا الراوي ويلعب ببعض التنبؤات التي تطرأ على عقله تفسيرًا منه لما يحدث لنا من تساؤلات بداخل عقولنا، بعضنًا يطرح الأسئلة، سؤال يليه آخر، وآخرون لا لفظ لهم، فقط، تترجم أسألتهم بالطريقة التي تحلو لهم من دون اللجوء للسؤال المباشر.

إن اتفقنا أن كل القصص تحمل بين محيط أحداثها كم هائل من السرد مشتبه في صحته، أين دلائل الاشتباه هنا؟ جدها إن استطعت.

صعب عليكم تبين هذا، أعلم ذلك، ولكني أنتظر ردًا من أحدكم، ماذا تنتظر من شخص رأى شبح، أو رأي شيطان، وتحدثا معًا؟ هل تنتظرون منه قصة رومانسية مثلاً؟!

تمت

النزال الأخير

محمد أبو الفتوح

- كده فاضلك خمس قطع، وأخلص عليك.

ترددت تلك الكلمات في عقلي، وأنا أتابع تلك المباراة النارية بين اثنين من أعز أصدقائى، في لعبة الشطرنج... جالساً على الكرسي المتحرك في دار المسنين للمحاربين القدامى، هذا هو ما آل إليه حالي، وأمري بعد مشاركتي في حربين اثنتين، يتم وضعي في هذا القفص الإجبارى..

- خمس قطع بس.

قالها زميلي في زهو؛ لتندفع الذكريات في عقلي كشلال ماء... خمس... طوال عمرنا كنا خمس، أنا وأمي وأبي وأخي الأكبر وأختي الأصغر لم نفترق أبدًا، أسرة مترابطة كما يجب أن يكون، والدنا من طراز (سي السيد)، ولكن ليس كما تشاهده في تلك الأفلام العقيمة، وتجسده أنه ديكتاتور، وحش شرس لا قلب له كانت له هيبة، وكلنا نخشاه، ولكنها خشية الإحترام وليس الخوف، تربينا على يديه أحسن تربية على الأخلاق الحميدة التي يفتقدها شباب هذه الأيام، أمي نبع للعطاء بلا حدود تفانت في خدمته وخدمتنا، عائلة متحابة مترابطة إلى أن جاءت الحرب (حرب 67) النكسة كما يقولون، وأي نكسة، تم استدعائي أنا وأخي للجيش؛ للدفع بنا في أتون المعركة.

- إيه رأيك إن أنا بالخمس قطع دول هغلبك!

خمس قطع هزيمة منكرة... نعم كنا خمس في المعركة، وصلتُ أنا وأخي إلى المعسكر، ونحن نحمل بنادق عتيقة في آخرها (سونكي)، وفي نطاق كل واحد منا خنجر وقنبلة، الفصيلة كانت تتكون من 20 جندي من مختلف الأعمار، يقودنا أحد رجال الجيش، وهو لا يدري ماذا يفعل؟! فلقد أتت الحرب إلينا فجأة، ونحن لم نتجهز لها، أو نعد لها العدة، تدربنا سريعاً على كيفية إطلاق النار، والتخفي في الكثبان الرملية، الأخبار تتوالى بأن الاسرائيلين قد اقتحموا سيناء، واحتلوها تمامًا وهم في الطريق إلى السويس، سلاح الجو المصري لم يخرج من مكانه، دُمر عن آخره في أول طلعة جوية لسلاح الجو الاسرئيلي، في حين أن المذياع المصري يقول أننا أسقطنا عشر طائرات إسرائيلية، أي كذب هذا وأي تضليل؟!

أرى بعيني الزملاء يتساقطون كالذباب الذي تم رشه بمبيد حشري قوي، وأسمع في المذياع أننا منتصرون، ونقتل ونأسر من العدو الكثير، جرينا في الصحراء وكأنما تطاردنا الغيلان، هذه الحرب لن نقدر عليها، لن ننتصر أبدًا؛ لا تخطيط ولا تفكير ولا تنظيم؛ القادة لا يعلموا ما يفعلوا؛ فيرتجلوا... أصوات الرصاص تمر بجوار أذني كأنها طنين أسراب نحل، انفجارات وقنابل في كل مكان، الجنود يتساقطون، الطائرات تحلق من فوقنا وتخلخل الهواء من حولنا، سقطت كل الفصيلة إلا خمس، منهم أنا وأخي، ماذا نفعل، أين نذهب؟! الغوث، الغوث، نظل نجرى بلا هدف، بلا أمل ..

الفرار، الفرار ولا شيء إلا الفرار، نحتمي بأحد الكثبان الرملية، نحاول أن نطمئن بعضنا، ونبث بعض الحماس، والشجاعة في أنفسنا، يتناهى إلى مسامعنا من على بعد، تصاعد صوت المدرعات والدبابات وهى تقترب؛ فتزداد رجفة قلوبنا ودمع أعيننا؛ يأتي إليّ أخى يحتضنني؛ ويربت على كتفي وهو يقول:

- سننجو..

ولكن كيف؟! يقترب العدو بجنوده (إذا كان الموت قادم، فلنمت ونحن ندافع عن حياتنا) يقولها أخي وهو يحثني أن أعدو بكل قوتي عندما يبدأ الاشتباك؛ فلن يحتمل والدانا فقداننا نحن الاثنان؛ ولكن فقد واحد قد يُحتمل، ثم يثب من خلف الرمال؛ ليثب معه الآخرون؛ وهم يطلقون النيران من بنادقهم العتيقة، تسمرت في مكاني للحظات، لا أقوى على ترك أخي، لكني تذكرت والديّ؛ فأدرت ظهري لهم وأنا أجري بكل قوتي، أسمع صراخ أصدقائي، وصوت أخي وهو يتلو الشهادة بصوت عال... تصفنى بالجبن؟!

هؤلاء ضحوا بحياتهم من أجلي، من أجل إنقاذي، وأنا لن أجعل تضحيتهم هباء.. لا لا لن ألتفت سأعدو كما يعدو الغزال هرباً من الوحوش، سأعود لأهلي؛ لأخبرهم أننا لم نحارب؛ سأخبرهم بأن القيادات ألقت بنا في حرب تعلم جيداً أنها خاسرة؛ سأعود لأخبرهم عن الفضيحة...

عدوت حتى وصلت إلى قرية بالقرب من السويس، وما إن رآني أهلها؛ حتى ألقيت بجسدي عليهم؛ مغشياً عليّ... تعالت ضحكته، وهو يرد عليه:

- فلتريني كيف ستنتصر أيها المريض... لقد تبقت لك أربع قطع ها ها ها ها.

عدتُ إلى بيتي، وأنا أجر أذيال الخيبة، وأتجرع مرارة الهزيمة، فتح لي والدي، وما إن رآني حتى امتقع وجهه واصفر، واضطرب صوته وهو يسألني عن أخي، لم أتمالك نفسي؛ فارتميت في أحضانه؛ وأنا أبكي... أمسكني من كتفي، وهو ينظر إلى وجهي ويردد:

- مستحيل مستحيل هذا ليس بحقيقي لا لا تقل لي إنه، إنه..

ثم جثا على ركبتيه، و دموعه تنزل أنهاراً، وأخذ يصرخ بجنون:

- ولكنهم في الراديو يقولون أننا منتصرون، وأننا على وشك دخول تل أبيب نفسها، أننا نسقط منهم العشرات كل ساعة، وندمر معداتهم وآلياتهم... أين ابني، أين هو؟!

خرجت أمي على صراخه، ثم أغشي عليها، وتدلى لسانها خارج فمها واعوجت يدها وقدمها اليسرى؛ حملناها مسرعين إلى المستشفى لإنقاذ ما يمكن انقاذه، وأختي خلفنا تبكي وتصرخ ولا تفهم شيئًا مما يحدث... وصلنا إلى المستشفى بشق الأنفس، أخبرنا الطبيب بنقص الإسعافات والمواد بسبب الحرب، وكثرة الجرحى من الجنود...

- تبقى ثلاثة فقط هل تريد الانسحاب، أم أنك ستكمل؟

عادت أمي إلى المنزل بعد علاجها، ولكنها صارت قعيدة، طريحة الفراش لا تقدر على شيء، ظل أبي يخدمها، ويطعمها بيديه ويحملها إلى الحمام لقضاء حاجتها، وفي يوم من الأيام كان يوقظها للإفطار، لم تجبه ظل يهزها يميناً، وشمالاً ،ولكن

كان ملك الموت قد سبقه إليها... تماسك أبي، ولم يذرف دمعة واحدة، انتهى من إجراءات الدفن، وأنا وأختي نمشي خلفه كطفلين في مكان غريب عنهما، ويخافا أن يبتعدا عن والدهما فيضلا الطريق، كنت أسمعه ليلاً وهو يبكي، وينوح وفي الصباح يتماسك أمامنا ..

في تلك الآونة تمت التعبئة في الجيش، واستدعاء كل من شارك في الحرب الأولى، وتجهيزهم وتدريبهم وشراء أسلحة جديدة، بعد أن تولى السادات رئاسة مصر، الثعلب كما يقولون، فقد خطط ودبر للحرب في سكون وصمت تام، وخدع جميع الأجهزة الأمنية والمخابراتية في العالم أجمع...

قبل ذهابي أمسكني والدي، وهو يحثني بأنه لا هروب مرة أخرى، لقد قتل هؤلاء الأوغاد، أخي ووالدتي... لا رحمة معهم... لا تهاون، لا فرار، لا استسلام... لم يكن أبي في حاجة لأن يخبرني بكل هذا؛ فأنا أتحرق شوقاً للمواجهة؛ وللأخذ بالثأر ..

كنا ثلاثة تم اختيارهم لمهمة محددة، من كثرة ما أبديت من حماسة، ورغبة في الانتقام، أصبحت من أفضل القناصة، المهمة هي القضاء على كتيبة صغيرة تحمي جهاز الإرسال والاستقبال، وتدمير الجهاز... تم التخطيط والتدريب جيداً، تحركنا نحو الهدف ليلاً، لا تعجل سيتم التحرك في بطء للوصول إلى المعسكر، هناك أربعة أفراد يحرسونه من أربع اتجاهات، لا بأس سنراقب تحركاتهم، وننتهز فرصة بعدهم عن بعض لننطلق، بعد قليل ذهب واحد منهم لتلبية نداء الطبيعة فكان نصيبه رصاصة من بندقيتي زينت منتصف جبهته، زميليّ الثاني والثالث تسللا؛ لينحر كل واحد منهما عنق اثنان؛ أما الثالث فلم أمهله فرصة، وهو يرانى أمامه أبتسم في سخرية..

دخلنا إلى جهاز الإرسال، وتم زرع قنابل (سي 4) في عدة أماكن مدروسة، وخرجنا قبل أن يستيقظ من بالمعسكر، ثم ابتعدنا مسافه كافية، وضغط زميلي الزر ليدوي صوت الانفجار في المكان، ويخرج الجنود من ثكانتهم، لتستقبلهم رصاصات قناصتنا تحصدهم حصداً... انسحبنا سريعاً إلى معسكرنا؛ ليستقبلونا استقبال الأبطال ونحن نحكي ما حدث، كنا في هذا الوقت ننفذ بعض العمليات فيما يسمى حرب الاستنزاف، إلى أن أتت الحرب الكبرى، والخديعة العظمى من السادات، اندلعت الحرب وأنا في الصفوف الأولى، أقاتل وأنتقم، وأثأر، لا يوجد أمامي سوى صورة أخي وأمي، أصرخ وأنا أقتل بالبندقية، أصرخ وأنا أمزق بالسونكي، أصرخ وأنا أصرعهم بيدي العارية، ثم أتت تلك القنبلة لتنفجر بجواري، وتظلم الدنيا من أمامي تمامًا...

- باقي قطعتان فقط وقل على الدنيا السلام.

وصلت الأخبار إلى أبي أنني قد أستشهدت، بعد أن قاتلت قتال الأبطال، وتم منحي وسام الشرف من الدرجة الأولى، كانت أخبار خاطئة طبعًا، ولكن لم يكن أبي يعلم ذلك، ولم يحتمل قلبه الضعيف؛ ليتوقف عن العمل؛ ويسقط صريعاً أمام أختي وعمي..

أصابتني شظايا القنبلة في قدماي اللتان تم بترهما وسرت على مقعد متحرك، بعد انتهاء الحرب وتوقيع معاهدة السلام، بدأت أتيقن أن كل ما فعلته في الحرب كان بلا فائدة، وأننا للمرة الثانية قد خسرنا، كيف يوقع المنتصر على معاهدة سلام؟ أليس الخاسر هو من يعدو ليقبل قدمي المنتصر ويطلب منه السماح؟

تجرعت مرارة ما أراه أمامي، وقررت أن أنسى كل شيء كفاني ماحدث لي أنا وأهلى، تفانت أختي الصغيرة في العناية بي، بل إنها قررت عدم الزواج من أجلي، ومن أجل مراعاتي، رغم عدم رغبتي في ذلك، مرت بنا الأيام ولا جديد في أحداثها إلى أن.

- كده ياريس مش فاضل غير الملك ومتلعبهاش تاني.

كنت أعبر الطريق، وأنا أسير بالكرسي المتحرك، وأختي خلفي، فجأة أتت تلك العربة المسرعة تتجه نحوي، ظننت أن الموت قد جاء أخيرًا، وقفتُ أستقبله استقبال الأبطال، ها قد حان وقتك أيها البطل، ها قد دقت ساعتك، حياة حافلة عشتها أنت، هموم كثيرة حملتها، دموع غزيرة ذرفتها، آن الأوان أن ترتاح، وتقابل الأحبة، أغمضت عيني وأنا أنتظر الاصطدام والموت في حبور، لتندفع أختي وتدفع الكرسي بعيدًا، وتصطدم بها السيارة وتقذفها عدة أمتار إلى الأمام وتفر هاربة، صرخت وهي تقع أرضاً، ويندفع الدماء من رأسها الذي شج من ارتطامها بالأرض، صرخت باسمها وأنا ألقي بنفسي على الأرض وأزحف نحوها، أبكى وأنا أحاول الوصول إليها، يتحشرج صوتها وهى تناديني، أكمل زحفي بصعوبة، وأنا أمد يدي إليها، تمد يدها إلي وهي تشهق، تتلامس أصابعنا لتطلق شهقة أخيرة، وينطفئ نور عينيها إلى الأبد.

- كش ملك.

بعد مواراة جسدها الثرى، تم إيداعي في مركز رعاية مصابي الحرب، ومعاملتي كقطعة دمى بالية، وكأن كل ما فعلته وكل ما فقدته لا قيمة لها...

أبي ..أمي .. أخي ..أختي كم أوحشتموني! تتساقط دموع عيني، ومن بين دموعي ألمح... كلا هذا مستحيل.

أخي إنه هنا يدخل من الباب وهو يبتسم يا الله كم أوحشتني ابتسامتك، الآم تتصاعد في جميع أنحاء جسدي، أمي تأتي من خلفه بنفس الوجه الحنون وتبتسم لي، كيف هذا؟ كيف جئتم؟!

ألم رهيب في جانب صدري الأيسر، أبي معكم أيضاً! وجهه يشع نوراً وبياضاً، ابتسامته تبث الراحة في جسدي، برودة تصيب أطرافي وجسدي كله، كيف هذا نحن في أغسطس؟!... أختي الحبيبة تأتي وهي تضحك ضحكتها التي طالما أحببتها.

لم جئتم؟ كيف جئتم؟ يحيطون بالكرسي وهم يدورون حوله في سرعه متشابكي الأيدي، يقتربوا ليحملوني بأيديهم أرى نفسي وأنا محمولاً، وفي نفس الوقت جالساً على كرسي، ولكنني أمسك كتفي الأيسر.. قدماي لقد عادتا إليّ مرة أخرى أي معجزة تلك! لكنني أرى نفسي مازلت بدون أقدام على الكرسي!

أرتجف.. أرتجف.. أرتجف، يبدو أنه لا أحد يرى ما يحدث لي..

- كش ملك مات الملك.

قالها صديقي ليعلن انتصاره، في نفس اللحظة تسقط رأسي على صدري، وأنا جالس على الكرسي، لأذهب على قدماي، وأنا أمسك بيد عائلتي، أخيرًا اجتمعت معهم من جديد ولن نفترق أبدًا.

تمت بحمد الله

صنديد

محمود طنطاوي

الشجاعة والشرف والحب، يلقبونه بالراوي
هكذا كان لقبه فى دار تعني بالأيتام، وكان دوما يقصص عليهم القصص ولكنه كان يحب أن يجلس معه هو، فتى يبلغ السابعه عشر، وكان للراوي رأي ألا وهو، أن القلوب تستشعر ما وراء إدراك العقول، هكذا كان يرى فيه، أخبروه أن ذكاءه قليل، لم يصب بإعاقة أو ما شابه، فقط هو قليل الذكاء، جلسوا سويا ثم قال له:

- اقصص على إحدى حكاياتك

ابتسم فى حنو ثم وقف وبدأ ينظر إلى الفراغ وقد بدأ يندمج مع ما سوف يقصصه :

- أيها القائد صنديد..... جيوش الأعداء تحرك حشودها باتجاه المدينة، بماذا تأمر؟
- أوقفوا الرماه على الأسوار، عززو الجند على أبواب المدينة واجعلوا المجانيق على أعالى المدينة، إليّ بجوادي الأدهم. سأذهب إلى الفرسان على قمة الجبل.

وامتطي صهوة جواده الأدهم، وعيون جنده تنظر إليه، كانوا ينظرون إليه بإعجاب، كانوا يرون فيه القائد الملهم رابط الجأش رقيق القلب، مزيج غريب مابين الحسم والحزم والشجاعة والتواضع ورقة القلب، وهنا قال صنديد للفارس الذي على يمينه:

- يا حسام، سأقود الفرسان على الجبل، وأنت ستحمي المدينة هنا ستتحملون الصدمة الأولى، إلى أن يصلوا إلى مرمى رماتنا ومجانيقنا وعندها اضرب بكل قوة، وأنا سألتف عليهم بالفرسان من الخلف فقط تحمل الصدمة الأولى يا حسام.

دمعت عينا حسام على الرغم منه، وقال بصوت أشبه بالهمس:

- لا تفعلها يا صنديد أرجوك... لا تفعل

ابتسم صنديد وقال:

- وهل آمن على المدينة إلا وأنت فيها يا حسام!

****

عاد من شروده ونظر الراوي إليه فقد كان يراقبه ويتأمله ببسمه بريئة ثم قال:

- أيعلم أولئك الجند أنهم سيموتون؟

أجابه الراوي وهو يحمل على شفتيه شبح ابتسامة هادئة:

- أجل.

سأله مجددا بقوله:

- مع أنهم قلة، ورغم كل هذا، سيحاربون؟!

أجابه الراوي بنفس البسمة:

- أجل.

وانطلق صوته وهو يستحضر روح معركة من وحى خياله :

****

وانطلق صنديد بجواده ومعه كوكبة من خاصة فرسانه، وصاح الجند:

- افتحوا الأبواب.

وخرج صنديد مع فرسانه وهو ذاهب إلى الجبل المجاور للمدينة، وعقله يسبح بعيدا...

- كيف قتلت هذا الثعبان يابني؟

قالها شيخ المدينة وهو يربت على كتف غلام صغير يمسك بحجر فى يده وأمامه ثعبان ضخم ميت، وكانت هناك طفلة صغيرة تبكي، كان غلاما حافي القدمين زي ثياب رثة، ضعيف البنية إلى حد بعيد. أجاب الغلام بلامبالاة:

- كان الثعبان سيقتل الفتاة، لذا تناولت حجرا وقتلته

نظر الشيخ إلى عيني الغلام، كانت عيناه خاوية، لا شيء داخلها قال الشيخ:

- أين تسكن يا غلام وما اسمك؟

أجاب الغلام:

- توفى والداي وأنا أسكن هنا

وأشار إلى الفراغ...

- واسمي صنديد.

قال الشيخ:

- أنت من المدينة المجاورة التي دمرت يافتى، من أنقذت هي ابنتي فاطمة، ستقيم معي في منزلي.

****

عاد الراوي من شروده عندما سأله قائلا:

- علاقة صنديد بالشيخ منذ أن كان طفلا إذن.

هز الراوي رأسه بالايجاب وعلى محياه بسمة عذبة، كان يستعذب أسئلته كما يستعذب محياه البرىء وهو يستمع الى أقاصيصه فاستطرد وقال للراوي:

- هل لك أن تكمل

ابتسم الراوى مجددا، وهو يوجه نظره إلى الفراغ وانطلق يروي.....

ابتسم صنديد ابتسامة هادئة، وهو يمتطي جواده وينظر إلى سيفه وهو يصعد بجواده إلى الجبل، وقبضت يده على مقبض السيف ويتذكر.

لماذا تمسك بهذا السيف يا صنديد؟ أنت لا تقوى حتى على حمله، أجاب الغلام وعيناه مغرورقتان بالدموع، لماذا قُتل والداي؟! لم يسببوا جرما لأحد حتى يُقتلوا، سأقتل من قتلوا والداي أقسم أني سأفعل، والدي أسماني صنديدا لأني كذلك وسأفعلها.

- إذن امتطي الجواد والدرع، وامتشق سيفك واذهب فانتقم، هيا يافتى.

لم يقدر الغلام على حمل السيف وهو يحاول، وهنا أخذ الشيخ السيف من يد صنديد برفق وحنو وقال:

- تملك قلبا شجاعا يا صنديد لكن لتحقيق الانتقام، لابد لك من قوتين، قوة بدن لكي تقدر على حمل هذا السيف وقوة علم لتعرف كيف ومتى تضرب بهذا السيف، وعندما تعلم ستعلم أن هناك شيء أكبر من أن تحقق انتقامك.

****

توقف الراوي عن السرد عندما استوقفه مجددا بسؤاله قائلا:

- وكيف أعلم أن الشيخ على صواب، أعني ما الذي يجعل الشيخ صائبا في نصحه لصنديد، أهو الحب، أم هي الشجاعة، أعني، أي

أحمق بإمكانه أن يكون شجاعا فقط لو تمسك بأى فكرة مهما بدت حمقاء.

سكت هنيهة ثم قال:

- الفداء، الانتقام ، كلها أسماء رنانة، لها وقع عميق في نفسي.

أجاب الراوي بصوت هادىء قائلا:

- الحب يجعلنا كالطيور المحلقة في عنان السماء، ونصيحة الحبيب للحبيب تستولى على كل الفؤاد.

صمت للحظات مفكرا ثم قال:

- نصيحة الحبيب للحبيب تستولى على كل الفؤاد، لكنها ليست صائبة طوال الوقت، هيا أكمل القصة

أغمض الراوي عينيه للحظة والتقط نفسا عميقا ثم قال:

****

صفوف الفرسان متراصة، ولمعت عيونهم عند رؤيته، طافت عينا صنديد بالفرسان، وهنا ابتسم ابتسامة حنو، رآه وسط فرسانه فارسا يافعا يخطو أول معاركه، متوترا قابضا على سيفه، يعدل من زرده طوال الوقت ويده تقبض على سيفه بتوتر، وهنا دخل إليه عدل من خوذته وسيفه وبزته الزردية وقال:

- أنت بشر الأخ الأصغر لليث بن المقداد، اعرف أخاك، جئت لتنتقم له أليس كذلك؟

و استطرد صنديد:

- ستحصل على انتقامك ولكن اعلم أن هناك شيء أكبر من أن تحقق انتقامك، أن تقاتل للحب وابتسم صنديد وهو يتذكر

****

- كيف أقاتل للحب يا شيخ؟

والداك قتلا وهما يدافعان عنك، قتلا دفاعا عن حياتك، وخسرا حياتهما، قتلا لأنهما أحباك وماتوا دفاعا عنك، احصل على انتقامك وستعلم بعدها أن تحارب لحبين، وأشار إلى السماء وأشار إلى الناس، حارب من أجلهم يا ولدي، عندها يا ولدي ستحيا بطلا وستسطر اسمك بين الخالدين، البطولة ليست سهلة يا ولدي، قد تسرد بطولاتك في ساعة، لكن تحقيقها يحتاج عمرك كاملا.

****

قاطعه فجأة:

- أهكذا الحب؟.

نظر الراوى إليه متسائلا وهويستطرد و يقول:

- أهذا هو حب الشيخ، أهذا مايقصده الشيخ بالحب، العيش والموت من أجل الحب، أليس الانتقام للمحبوب يعد حبا له؟

نظر الراوي إليه وقال له:

الحب ككل شيئا في حياتنا ليس له باب واحد، بل أبواب عديدة متفرقة ولكنها تؤدي إلى نتيجة واحدة، والبعض يغفل أن للحب دروبا وليس دربا واحداً وأبواباً وليس بابا واحدا ولكل محب منا دربه وبابه.

ابتسم قائلا:

- أكمل أرجوك.

وكعادته نظر الى الفراغ وانطلق يروي.....

****

- بِشر أعلم لما قتل أخاك، حقق انتقامك أولا.. وستعلم أن أخيك مات من أجل الحب.

وأشار إلى السماء ثم أشار إليه، وهنا صاح:

- سننتظر الصدمة الأولى، ثم سنهوى من الجبل على مؤخرة جيوش الأعداء، فيكونون بيننا نحن وحماة المدينة فلا يقدرون علينا

وهنا نظر إلى المدينة، كان يعلم والفرسان يعلمون، حماية المدينة صغيرة، إذا ما قورنت بجيوش الأعداء! نظر صنديد إلى المدينة وكأنه يراها....

كانت توشك أن تضع وعيناها معلقتان بالجبل، لطالما أحبته، كانت تراقبه وهو يتدرب على السيف والرمح والفروسية ويتعلم وينهل من علم أبيها، لطالما كانت تدعو بعودته سالما من كل معركة يذهب إليها، كانت تعلم أنه يقاتل للموت والإنتقام فقط، روحه طاهرة إلا أنها خاوية، تدعو أن يعلم، أن يرى كم أحبته وكم أحبه أباها، تدعو أن يقاتل لأجل الحب الأكبر، لا لأجل الموت والإنتقام.

عند وفاة أبيها في إحدى المعارك إنقاذا لحياته، أدرك أن تموت فداء ما تحب ومن تحب، أدرك الحب ومن أحبه، وبكى صنديد، وهنا تبسم له الشيخ وأشار إلى السماء ثم أشار إليه، وتركه وقد سطر اسمه بين الخالدين.

****

سكت الراوي هنيهة وهو ينظر له، كان ينتظر منه سؤالا بريئا كالعادة، وابتسم هو قائلا في براءة:

- الشجاعة أمر محير، والموت من أجل شيء آخر. أمر أكثر حيرة هل مات من أجل الحب، أم مات من أجل الشرف.

أجابه الراوي قائلا:

- مات من أجل الحب الذي شرف من قدره، وسطر اسمه بين الخالدين

ابتسم قائلا:

- أكمل.

وكالعاده التقط نفسا عميقا ثم استحضر المعركة بقوله:

****

عاد إليها وأدرك حبها، فأحبها وتزوجها، تنظر إلى الجبل وتبكي، يحسبوا أنها تبكي آلام الوضع! وهي تبكي خشية أن تفقده.

لاحت جيوش الأعداء، وكانوا من الكثرة بحيث لا يتوقعوا الهزيمة أبدا، ووقف حماة المدينة أمام المدينة، ومن خلفها الأسوار، ثم بدأ الضرب بالمجانيق من جهة الأعداء، والضرب بالنبال والسهام، وهنا بدأت جيوش الأعداء بالهجوم الكاسح. وحدثت الصدمة الأولى وكانت رهيبة، وهنا صرخ أحد الجند:

- أيها القائد حسام، هم فى مرمى رماتنا.

وهنا صاح حسام وكان في وسط جنده أمام أسوار المدينة:

- اضربوا، وليلزم الجند أماكنهم، هم في مرمى رماتنا، يا رماة المجانيق اضربوا، أيها النشابين اضربوا.

صاح أحد الفرسان لصنديد:

- أنهجم؟!
- ليس بعد، حتى يخيل إليهم أنهم انتصروا، وهنا نميل على مؤخرة جيشهم، اصبر.

مضت ساعة، وبدأت صفوف حسام تتضعضع، وبدأت جحافل الأعداء تتقدم

وهنا قال صنديد:

- الآن.

ونزل هو وفرسانه كسيل العرم وضربوا مؤخرة جحافل الأعداء بقوة، هنا صاح حسام:

- اهجموا أيها الجند.

وهنا لاح لصنديد قائد جيوش الأعداء، فحمل عليه، تصارعت السيوف حينا وهنا تدخل أحد فرسان الأعداء مع قائده، وإذ ببشر يجندل هذا الفارس، إلا أن القائد طعنه طعنة نجلاء، فهوى بِشر، وعندها صرخ صنديد وحمل على القائد فقطع ذراعه الممسكة بالسيف، ثم هوى على رأسه، وهنا صاح الجند بمقتل قائد الأعداء ولم تمضِ ساعة إلا وانتصروا وهُزم الأعداء.

ذهب صنديد مسرعا إلى بشر، وهنا تبسم بشر ثم أشار إلى السماء، وأغمض عينيه، حمله صنديد ودفنه بيده، كان مثخنا بالجراح، ثم رآها، كانت تدعو وتبكي أن يعود لها سالما، وعندما رأته لم يتكلما، فقط كانت نظراتهما تنطق بما لم يقدر الكلام على البوح به... قالت:

- عدت!

وكانت تحمل صغيرهما، فقال:

- عدت.

وأشار إلى السماء ثم أشار إلى شفتيها وإلى الصغير... قالت:

- لن تسميه؟

قال:

- بِشر.

****

ثم جلس الراوي إلى جانبه وقال:

- ما رأيك؟

صمت للحظات مفكرا ثم قال:

- لا أدري فالشجاعة شيء محير، وقد تموت شجاعا لأسباب حمقاء وما الذي يحدد السبب؟؟ أهو أنا أم القادة أم من هم يكبروني في العمر؟! وهل لي أن أسألهم إذا ما كانوا مخطئين؟!

تأمله الراوى مبتسما وهو يستطرد ويقول:

- الموت شجاعا هذا أمر محير، وأن تموت من أجل الحب أمر أكثر حيرة، لكن أن تموت من أجل الشرف.

سكت هنيهة ثم قال:

- أمرًا رائعًا ويجعلنا نعي ما نحن عليه، ويجعلنا ندرك ما سوف نكون فيه، لأن الموت من أجل الشرف يعطيك الشجاعة والحب، وصنديد كان شرفه وحبه يقبعان في شخص واحد.

صمت للحظات ثم قال:

- فاطمة، أعتقد أنك عندما تموت من أجل شيء مهم فهذا يمنحك الإثنين، الشجاعة والشرف وهذا ما حاول الكاتب قوله، ولكني أرى أنه عليك أن تتمنى الشجاعة وتحاول مع الشرف والحب وتدعو أن تصيب بعضا منهم.

نظر إليه بعد أن انتهى من قولته للحظات ثم قال وهو يهم بالمغادرة:

- أحببت شرف شجاعتك، وأدعو الله أن نملك بعضا منها.

وانصرف الراوي وهو يردد هامسا:

- القلوب تستشعر ما وراء العقول.

تمت

ليلتي الأولى في القبر

محمود عبد الرحيم

إنها أول ليلة لي داخل القبر، كم يبدو هذا مفرحاً بالنسبة لي، ليس مفرحاً فقط بل ومريح أيضاً، أخيراً سوف أشعر بالراحة.

لقد كانت حياتي كلها معاناة مستمرة بداية من طفولتي حيث نشأت داخل أسرة فقيرة عانيت الحرمان والقحط حتى تعلمت وتخرجت، وبعد تخرجي جاءت مشكلة البحث عن وظيفة وعمل مربح لتؤرق منامي وتشغل تفكيري، حتى عندما وجدت عملا مناسبا وبدخل معقول حاولت أن أجتهد وأرتقي لأجد أن الوصوليين في العمل دائماً ما يضعون الخطط لجعلي أفشل، فكنت أنام الليل وأنا أفكر في كيفية إفشال خططهم، وعندما تخلصت من بعضهم ويئِس البعض الآخر من إزاحتي من طريقه وقلت إنني سوف أستطيع أن أقضي ليلة بدون تفكير ولا أرق جاءت فكرة الزواج! من الذي قال أن الزواج استقرار وراحة بال ؟!

أنا بمجرد أن قمت بالتفكير في هذا الأمر حتى جافى النوم جفوني، فكرة البحث عن شريكة مناسبة للحياة وبعد إيجادها فكرة الاستعداد للزواج من حيث الشقة وتجهيزها ومصاريف العرس من شبكة ومهر وفرح، كلها أمورا جعلت فكري مشغولا طوال الوقت.

أخيراً تزوجت وقلت أن حياة الاستقرار بدأت ولكني كنت واهماً، من أول يوم زواج وظهرت حماتي في خلفية الصورة لتنغص عليَّ حياتي، حاولت التأقلم

والتفاهم مع زوجتي التي كانت تستمع لكلامها لتصير المشاكل أمراْ شبه يومي ويصير تفكيري يومياً منصب في كيفية إقناع زوجتي بالتخلي عن أفكار أمها التي لن تجلب إلا الدمار والخراب، وأخيراً استطعت أن أتأقلم مع زوجتي وتتقبل زوجتي كلامي وتقتنع بوجهة نظري – نوعاً ما– وظننت أنني سوف أهنأ براحة البال التي لم أجدها طوال حياتي بالإضافة إلى اشتياقي لقضاء ليلة بدون تفكير في مشاكل الحياة وهمومها، ليظهر جانبا جديدا من فصول الحياة، لقد كانت زوجتي حامل وكان حملها به مشاكل، كانت تقضي أغلب الليل تتألم وكان الأطباء يقولون أن نسبة إستكمال الحمل ضئيلة، كان هذا الأمر يشغل تفكيري حتى جاء الشهر الثامن لتلد زوجتي بأمر من الطبيب ليدخل ابني إلى حضانة الاطفال لعدم استكمال الرئة، وبعد خروجه بدأ فصل جديد، أصبحت زوجتي دائمة التحدث عن مستقبل ابنها وأنني يجب أن أجمع بعض النقود وادخارها لضمان مستقبل إبننا، وأصبحت مطالبها أكبر مع مجيئ الطفل الثاني والثالث، أصبحت أعمل ليلا ونهارا ولا أستريح إلا بضع ساعات فقط في اليوم، أصبح تفكيري منصب على كيفية إحضار النقود لشراء أشياءًا يحتاجها الأولاد، أو يحتاجها البيت، أو تحتاجها زوجتي.

هنا توقفت قليلاً لأراجع حياتي بأكملها، لأجد أنني لم أنم ليلة واحدة بدون تفكير وبدون هموم، حتى بعد أن أصبح لدي المال كانت زوجتي كل ليلة قبل النوم تخبرني أنها تريد شئ وتؤكد علي أن لا أنسي أن أفعله صباحاً وهو أمر خاص بدفع شئ أو شراء شئ أو أخذ شئ للصيانة أو التصليح، وجدت أن حياتي بأكملها تتمحور حول النقود في صغري كانت النقود قليلة وفي شبابي كذلك كنت أحتاج للنقود لبدء حياتي، حتى بعد الزواج أصبحت بالنسبة لبيتي

مجرد ماكينة صرف نقود، أصبح كل تفكيري ينصب على كيفية جلب النقود وما أفعلة بها، وجدت إنه لم تمر علي ليلة بدون أن أشغل عقلي وتفكيري بشئ خاص بالنقود، حتى مع حمل زوجتي المتعب كنت أفكر في النقود لإدخالها مشفي خاص، الآن كل ما أطلبه هو ليلة بدون تفكير، ليلة بدون طلبات، وبدون مسؤوليات، ليلة بدون أن يزعجني أحدا.

ولقد وجدت الحل، لقد قمت بشراء قبر خاص بي ها أنا الآن أرقد داخله بعد أن أغلقت الباب من الداخل، كنت قد قمت من قبل بتجهيز القبر لجعله جيد التهوية فلا يوجد خوف من الاختناق، ها أنا الآن أنعم بأول ليلة لي بهدوء وبدون مطالب ولا مشاكل ولا هموم، لقد قمت بإصلاح جميع أجهزة البيت التي كانت بحاجة لإصلاح كما أنني قمت بسداد جميع الفواتير ولا يوجد أحد من أبنائي مريض وزوجتي تركت لها ورقة أخبرها فيها أنني سوف أبيت الليلة خارج المنزل ولا أريد إزعاجا من أحد لذلك تركت هاتفي المحمول في البيت، وأخبرتها أيضاً أن لا تبحث عني لأنها لن تستطيع إيجادي، وأخبرتها أن لا تقلق هي فقط ليلة وأعود غداً إلى بيتي، الآن أغمض عيني وأنام ليلة بدون إزعاج.

ما هذا هل أسمع صوت طرقات على باب القبر الحديدي ؟! لا بد أنني واهم بل يوجد طرق فوق الباب بالفعل:

- زوجي العزيز أعلم أنك بالداخل .
- ؟!!!!!!
- لقد كنت أعلم إنك تختبر ذكائي بقولك أنني لن أستطيع الوصول إليك، أنا بالفعل كنت على وشك إعلان فشلي لولا أمر صغير.

هذا صوت زوجتي كيف جاءت والأهم كيف عرفت أنني هنا أنا لم أخبر أحداً

- لقد أخطأت بتركك هاتفك، كان يجب أن تأخذة معك وتغلقة، لقد اتصلت بك شركة السيارات الخاصة التي قمت بطلبها لتنقلك إلى هنا، يبدوا أنه كان هناك خطأ في الحساب وأرادوا أن يخبروك أنه يوجد لديك باقٍ للحساب وقد قامو بإضافتة إلى رصيدك لديهم، قمت بسؤالهم عن المكان الذي ذهبت إليه فرفضوا، ولكن بعد عدة محاولات استمرت قرابة النصف ساعة وافقوا وأخبروني بالمكان، وقتها عرفت أنك هنا فلا تنسى أنك أخبرتني أنك قد اشتريت قبراً مؤخراً و تشعر أنك سوف تستخدمة قريباً ، ولكن ليس هذا الذي أتى بي لقد نسيت أن أخبرك أنه يجب عليك غداً الذهاب إلى مدرسة ابنك الصغير يبدوا أنه قد قام بجرح طفل وطلبوا منه إحضار ولي أمرة، كما أن ابنتك أيضاً قد طلبوا منها مصاريفا إضافية في مدرستها اذهب لتدفعها لها حتى لا تشعر أنها أقل من زميلاتها .

اللعنة أين أذهب، لقد تركت العالم وها أنا الآن داخل قبر كي أرتاح من التفكير ومن المطالب، حتى هنا تلاحقني تلك المرأة بالمطالب والتفكير، لا لن أقوم بالرد عليها وسأتركها وسوف تذهب لأنعم انا بعد رحيلها بالنوم الهادئ والليلة التي تمنيت أن أقضيها .

- هل حفظت ما قلتة يا زوجي العزيز ،أتمنى ان يكون لديك قلم لتقوم بتدوين ما قلته، افعل ما أقوله لك يومياً قبل النوم استمر في ترديد المطالب في رأسك قبل النوم وهذا سوف يجعلك تتذكرهم بمجرد استيقاظك ،أو أقول لك يمكنني أن أنتظر هنا للصباح وأقوم بالتحدث معك حتي لا تشعر بالملل وأيضاً حتى أستطيع أن أحكي لك عن بعض المشاكل التي يعانيها أولادك ولم أخبرك بها حتى تجد لها حلا، بالمناسبة لن نجد أهدأ من هذا المكان لنتحدث ونفكر معاً .
- هذا لا يُحتمل ماذا أفعل الآن، وجدتها، لقد وجدت الطريقة التي تجعلني أنتقم من هذة الزوجة.

التقطت من جواري ميدالية على شكل سكين صغير أحملها معي دائماً للطوارئ واقتربت بها من شريان يدي وأنا أبتسم ويقول:

- ها أنا قادم إليك يا زوجتي العزيزة لنتحدث ونفكر معاً وبعدها أهنأ بالراحة التي كنت أبغيها.

خارج المقبرة كانت الزوجة تتحدث عندما شعرت أن هناك شئ يتحرك خلفها إلتفتت لتجد ظل رجل يقترب منها تراجعت خوفاً حتى اقترب منها لتتبين ملامح زوجها قالت له:

- هل أنت هنا إذا أنا كنت مخطئة وظننت أنك بالداخل وكنت أتحدث إليك.
- ما هذة الدماء التي تلوث يدك اليسرى وتتساقط على الأرض هل أنت

مصاب ابتسم زوجها وقال:

- بل أنتِ لم تخطئي أنا بالفعل متواجد داخل القبر ومازلت هناك، أنا فقط خرجت لنتحدث حديثاً خاصاً كما أردتِ وبعدها أعود لهدوئي الذي تمنيته.

حديث للمرة الاخيرة .

وأعقب قولة بإطلاق ضحكة طويلة .

تمت بحمد الله

الفراشة الزرقاء

مدحت رأفت

الفراشات تطير من زهرة لأخرى ومن مكان لآخر، تسعد الناظرين إليها، يتمنى الجميع لو أصبح مثلها، يُحلق دون قيود.

تسير وحدها في جوف الليل مُرتعشة، تخشى الظلمة حولها، تحاول وأد الخوف داخلها فتفشل، تسمع صوت لهاث كلب حولها، تُمعن النظر لتجده يأتي راكضًا، فيسري الأدرينالين بجسدها، وتلوذ بالفرار وهي تصرخ ،وتستنجد بأي أحد، تلمح ضوءًا من بعيد، فتندفع نحوه كأنها تهرب من الموت، أو هكذا صورَ لها عقلها الصغير، طرقت الباب بيدين مرتعشتين، ظلت واقفة على الباب وهي تشعر بأنفاسها تتسابق إلى جسدها الهزيل، تلتفت عيناها خائفة! لا تعلم شيئًا، لتجهش بالبكاء، وتفتح الباب سيدة في منتصف العقد الثالث، بعينان شبه نائمتين، سرعان ما فطنت لتلك الطفلة ذو العشر سنوات تبكي أمام بابها، ظنت أنها سائلة تبتغي عطفها في طعام تأكله، لكن سرعان ما غادرتها تلك الفكرة فمن هيئتها وتسريحة شعرها المكوي يبدو أنها ضائعة لا تدري طريق العودة، فأدخلتها بعد محاولة تهدئتها، ثم بادرت بسؤالها:

- ما اسمك يا صغيرة؟ وأين أبويكِ ؟

بعد هدوء الطفلة استجمعت أحرفها ونطقت بصوتٍ مرتعش:

- لا أدري، لا أدري وجدت نفسي في الظلام فجأة! أنا خائفة جدًا.

ودخلت في نوبة بكاء أخرى، في حين تسمرت السيدة الثلاثينية لا تدري ماذا تفعل وما هذه الورطة التي أتت لبابها في منتصف الليل! لكن نظرت إليها وربتت على كتفها وأخذت تغسل وجه الطفلة بحنو كأن الأمومة قفزت إليها مرة واحدة، وأطعمتها ثم قادتها إلى الفراش جوارها، قائلة في نفسها:

- لا بأس أن تنام اليوم معي تؤنسني و في الصباح أرى ماذا سأفعل....

****

وفي قسم شرطة الدقي، وقف شخصان يبدو من هيأتهما أنهما زوجان من تقاربها هكذا، السيدة منهارة من البكاء والنحيب والرجل متماسك قليلًا أمام رجل الشرطة الذي يأخذ أقوالهما قائلًا:

- منذ متى وهي مفقودة؟

ليرد الرجل محاولًا تمالك نفسه ألا يجهش هو الأخر في البكاء قائلًا:

- منذ ما يقرب من العشر ساعات.

ليضع الشرطي القلم أمامه ويقول:

- أسف، ولكن يجب أن يمر على الاختفاء أربعة وعشرون ساعة على الأقل..

فانفجرت السيدة كأنها تحاول التنفيس عما بداخلها في ذلك الشرطي وصرخت وهي تلوح بورقة في يدها:

- زهايمر، إن ابنتي مُصابة بالزهايمر ولا تتذكرنا إلا نادرًا، تنسى كل شيء هي طفلة صغيرة، خائفة، ووحيدة الآن! أرجوك إفعل شيئًا.

تلقى الشرطي القلم مرة أخرى، وبدى عليه الجدية والقلق، وأخذ بعض البيانات عن أخر مكان وُجدت فيه وماذا ترتدي وما إلى ذلك، ثم طمأن الزوجان وأخبرهما أنهما ما إن يصلا إلى شيء سيحدثانهما، لكن الزوجة أبت الرحيل وقالت أنها ستنتظر ولن ترحل إلا وابنتها معها، ولم ينجح أحد في إقناعها عما قررت، فتركهم الشرطي وأخذ مجموعة من العساكر وخرج.....

****

في صباح اليوم التالي، استيقظت السيدة وحضرت الفطور وأخذته إلى غرفتها، وقفت أمام الفتاة تتأمل ملامحها البريئة، شعرها المبعثر حول رأسها، شفتاها الصغيرتان، وجنتاها المحمرة من تدفق الدماء، وجهها الناصع ليست فتاة شوارع لم تنم هذه الفتاة إلا على الحرير ولم يرى جسدها الشمس إلا قليل، كل ذلك جال بخاطرها وهي تقف، ثم هزت الفتاة برفق لتوقظها، ظنت أن الفتاة ستقوم مفزوعة، لكن على النقيض تمامًا، حينما فتحت عيناها لتكشف عن زرقة لونها كأن هناك نهرٌ يسري بداخلهما، والأمواج فيهما تجذب أذهان الناظرين إليه، ناهيك عن تلك الابتسامة التي ارتسمت على ثغرها، لتسري تلك القشعريرة في جسد السيدة، شعرت كلتاهما كأن إحداهما تعرف الأخرى حقًا، بل الفتاة لا تذكر سوى تلك المرأة التي رأتها بالأمس، ظنت أن الأمس يوم مولدها لم تفطن

لما هو العمر أو السن الذي عاشته من قبل مع أشخاص أخرين، فقط الدقائق القليلة بالأمس أمام تلك السيدة، وشعور الأمان داخل أحضانها في الفراش، جعلاها تبتسم بتلقائية وببراءة، انهارت أمامها حصون تلك السيدة فاحتضنتها بشدة..

بعد مدة ليست بالقصيرة، انتزعت كلٍ منهما الأخرى من حضنها مؤقتًا، وشرعوا بتناول الطعام صامتين، إلى أن كسرت الصغيرة الصمت بقولها:

- لا أتذكر اسمي، أتذكرينه أنتِ ؟

لفظت الأحرف بسعادة منتظرة اسمها بلهفة، ونظرة الشغف تخترق آخر الحصون في قلب تلك السيدة، لتجيبها بعد أن شردت قليلًا قائلة:

- اسمك هو "هدى"..... وأنا ماما "مريم"
- لماذا لا أذكر اسمي ولا أي شيء يا ماما مريم؟

قالتها ببراءة، لتتوتر "مريم" بعض الشيء، وتغير الحديث قائلة:

- ها.... أخبريني إذًا، ماذا تحبي أن تأكلي على الغداء يا حلوتي؟!
- لا أدري يا ماما أي شيء.

كانت تسمع كلمة ماما، وتسري بجسدها قشعريرة، تشعر بأنها تملك العالم كله! أنها أم، تتذوق الكلمة بقلبها وتحتضن كل حرف فيها وترددها " ماما" وتذكر كم كانت حمقاء، وتتذكر...

- يا ماما، أتركي تلك الفكرة من رأسك تمامًا فأنا لن ألقي بنفسي في التهلكة

لتنهرها أمها وتقول لها بغضب:

- وهل الزواج تهلكة يا مريم! أريد أن أفرح بكِ كأي أم ترى ابنتها وهي ترتدي فستانها الأبيض وتُزف إلى عشها الزوجي، أتريدين أن أموت قبل أن أرى ذلك؟!

لتزفر مريم بغضب من حديث أمها الذي لا تمل منه، وتقول بعصبية وهي تجز على أسنانها لتنهي الموضوع:

- أريد تحقيق أحلامي أولًا قبل أن يتحكم فيّ أحدهم، أريد أن أعتمد على نفسي حتى لا يعتقد غيري أنني ضعيفة، لا تفتحي هذا الموضوع مرة أخري؛ لأن هذا رأيي ولن يتغير ..

أطرقت الأم رأسها أرضًا، وقد ملأ الحزن ملامحها، واغرورقت عيناها بالدموع، فهي منذ وفاة زوجها والد مريم ؛ تخشى أن تنتقل للرفيق الأعلى دون الاطمئنان عليها، دون أن تراها في كنف رجل يحميها وحشة الدنيا ودناءة البشر، لكن هيهات من تلك الفتاة وتفكيرها..

تخرجت مريم من كلية الآداب قسم علم النفس، تهوى كثيرًا قراءة البشر، تصرفاتهم أحاديثهم، تدقق في كل شيء، وقتما يصدقون القول، ووقتما يكذبون، ربطت

بين كل ذلك في حركات معينة، فساعدها ذلك على تجنب الكثير من المشاكل، حصنت نفسها من كل تودد شبان الجامعة حتى يأس منها الجميع، تخرجت بتفوق ولحسن حظها النادر تم تعيينها مُعيدة في قسمها، فظنت أن الحياة ستبتسم أخيرًا! لكن هيهات ؛ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، تمرض والدتها بشدة وتتدهور حالتها، وسط عجز من الأطباء عن تشخيص حالتها، وفي فراش موتها حاولت مع مريم للمرة الأخيرة ؛ فتخرج الأحرف كأنها تقاتل الموت لأجل آخر أمنية:

- يا بنيتي يا فلذة كبدي، أخشى أن تعيشي وحيدة وتموتي وحيدة لا مؤنس ولا حبيب ولا رفيق، أنتِ على مشارف الثلاثين ؛فحاذري وأعيدي التفكير ويكفيكِ ما رنوتِ إليه.

لم تُعط لمريم الباكية على يديها فرصة لترد، ففارقتها إلى الأبد تاركة إياها تلك الكلمات التي تتردد في أذنها إلى اليوم، لكنها لم تُنفذ حرفًا واحدًا منه، خشت أن تهدم كل ما بنته، وآثرت أن تنتظر، حتى سرقتها الحياة ، وباتت تتقرب من الجميع لكن الجميع كانوا يبتعدون! تذكرت أنها لم تكون صداقات ، فقط اكتفت بالزمالة إما في العمل أو الجامعة، وكل مرحلة في حياتها لها أناسها المختلفون؛ لتجد نفسها وحيدة وظلت قابعة في منزلها إلى أن أتتها تلك الفراشة الزرقاء تبحث عن المأمن، لكنها اكتشفت أنها هي من تحتاج لذلك الحضن وتلك النظرة، تحتاجها حقًا، وتساءلت في نفسها قائلة:

- لكن ماذا عن والديها، أهما حيان بالتأكيد يبحثان عنها الآن، لا يهم ستعيش معي بعض الوقت، أروي ظمأ قلبي بتلك النظرات وكلمة "ماما"

****

يقف والدا الطفلة في شرفة المنزل يتأملان السماء بعينان نفذ منهما البكاء، وأصبح الصمت هو العزاء الوحيد، فها قد مر ما يقرب من الثلاثة أسابيع دون أن يجدا لها أثر، حتى عبثت بهما الظنون، قُتلت، خُطفت، بيعت أعضاؤها! هواجس كثيرة غزت عقلهما، إلى أن اهتدى الزوج أن يقوم بنشر إعلان في التلفزيون عن فقيدته، كمحاولة أخيرة لأن يجد لها أثر، لا يعلم أن طفلته الآن تضحك وتلعب مع أمها الجديدة! فلم تترك مريم فرصة واحدة لتقضي فيها الوقت مع هدى ولم تفعل، لم تترك حديقة إلا ولعبتا فيها ولا مدينة ألعاب إلا وسرقتا فيها الضحك والمتعة، هدى كانت أسعد الفتيات على وجه الأرض بالألعاب، أما مريم فكانت أسعد مخلوقة في الكون كلما رأت بسمة هدى! أي علاقة تلك، لكن الحياة كما تعطينا تأخذ منا ،تعودت هي على ذلك، فشردت قليلًا عن هدى وهي تشتري لها غزل البنات، فضاعت منها، كانت كالمجنونة في ذلك اليوم، تبحث ببكاء وهيستيرية وجنون، تتخبط في ذلك وتنظر لذاك، قلبها يئن خوفًا من أن تضيع منها! أن يأخذها أحد آخر فيكسر وحدته بها! لم ترتاح إلا بعدما رأتها جالسة على الأرض تبكي، ولما رأتها هدى ركضت نحوها تتشبث بثيابها، لكن في الحقيقة كانت تتشبث بتلابيب مشاعرها، والأدق أن مريم هي التي كانت

تتشبث بتلك الفراشة الزرقاء، تذكرت وقتها كلام أمها الأخير عن الوحدة، وتذكرت ما تناسته في وجود هدى بين أحضانها، ماذا عن أمها الحقيقية!

- يا إلهي.... كم أنا أنانية، أحاول الظفر بتلك الفراشة لنفسي، ونسيت أن لها بستانها الخاص، وأن هناك أم وأب وربما جده ينتظروا عودتها بشغف، أعلم أن رحيلها سيؤلمني! سأشتاق لها ولماما التي تقلب كياني رأسًا على عقب، لكن من أنا لأحرم هذه الطفلة وأمها الحقيقية من ذلك الإحساس.....

عادت مريم وهدى بخطى مترنحه بعض الشيء، كانتا تقدما خطوة وتؤخرا أخرى! ثنائي منسجم لا ينقصه سوى أن يبقى معًا إلى الأبد، لكن مريم قد عقدت العزم، فلن تحيا حياتها مع تأنيب الضمير، ربما ستزورها كثيرًا بإذن أبويها، وربما لا يسمحان بذلك.

وصلا للبيت؛ لتدلف هدى بمرح وترتمي على الأريكه فقد أنهكها التعب، ثم لا تنفك أن تُزيد تلك اللحظات صعوبة على مريم فتقول لها وهي شبه مُغمضة العينين:

- أنتِ أفضل أم على الإطلاق يا ماما، أنا أحبك...

لا تدري بعد تلك الكلمات أتطير فرحًا ! أم تبك حزنًا وألمًا، تتعجب من صفاء قلبها ونقاء مشاعرها، لم يلوثها العالم بعد، لم يمسها الخبث ولم تقربها الدناءة، تتمنى لو تبقى طفلة إلى الأبد، فتنشر المحبة وذلك الشعور بين الناس أجمعين، احتضنتها بل لنقل أن مريم هي التي توارت في العالم الكبير الذي بين

يدي هذه الطفلة الصغيرة، وأخذتها إلى الفراش، حاولت النوم لكن النوم أبى أن يزورها، فزارتها الدموع تخفف الحمل عن ذلك القلب الذي لأول مرة ينبض بالحياة.....

في صباح اليوم التالي، قامت وأعدت الفطور وجلستا سوياً تتناولنه بصمت أمام التلفاز، حتى صرخت هدى بمرح:

- ماما أنا على التلفاز هيييييه صورتي هناك هيييييه

لتنظر مريم بتعجب؛ فترى صورة هدى وتحتها كُتب مفقودة، مُرفق بها صورتا والديها ورقم هاتفهما! تأملت فلم تعلم أن الأمر سيسير على هذا النحو، كأن كل ما حولها يحاول أن يُرجع تلك الفراشة لبيتها، وهي الآن الشريرة الوحيدة في القصة! تأملت في صورة أمها، لترى كم تقاسمتا الكثير من الملامح! لم تتمالك نفسها فخانتها عيناها، وانهرمت تبك أمام هدى، التي تعجبت وقامت بكفها الصغير تمسح دموع مريم وهي تقوللا تبكين يا ماما ..

مرت نصف ساعة، فكرت فيها مريم أن تتراجع وتهرب بهدى، أن تقول أنها تمزح وتتعرض للتوبيخ والسباب وبعد رحيلهما تنسى الموضوع، فكرت كثيرًا، لكن قطع صوت جرس الباب تفكيرها، وسارع من خفقان قلبها، وترددت أيضًا قبل أن تفتح، لكن كأن شيئًا بداخلها يدفعها نحو الباب، سمعت جلبة بالخارج فقالت في نفسها:

- أيجب أن يأتوا بكل هؤلاء الناس! أيريدونني أن أنهار!

وما إن فتحت الباب حتى رأت الإسعاف والناس شتى في الشارع يحيطون ورجل شرطة يقف، ويقول لها:

- معذرة يا سيدتي أتعرفين من وقع لهم الحادث؟ ألك بهم صلة قرابة؟

ثم أراها هويتهما، فتراجعت شاهقة إلى الخلف، لا تدري كهن إحساسها لكنها قالت في النهاية:

- أجل كانوا قادمين إليّ.

وذهبت معه وهدى إلى المستشفى، تجلسان بجوار والدة هُدى، المضمدة بالكامل، تكاد تفتح عيناها، كأنما شعرت بوجود طفلتها في المكان، ظنت أنها تتوهم، لكن قلبها أكد لها أنها حقًا موجودة؛ فاستجمعت قوتها أو ما تبقى منها؛ ومدت يدها نحو طفلتها قائلة:

- "منة" يا حبيبتي تعالي إليّ ..

نظرت هدى إليها جيدًا كأنها تذكرتها، شعرت تجاهها بمشاعر قوية، فأخذتها قدماها إليها، وارتمت في حضنها تبكي، لا تدري لماذا لكنها بكت كأنها تعلم، ثم تذكرت تذكرت كل شيء فجأة، وصرخت:

- ماما..... ماما

ابتسمت لها أمها وحاولت أن تقبلها لكن خانتها قواها، والتف الأطباء حولها، وأخذت مريم هدى أو "منة" إلى الخارج تتأملها وهي تقول:

- ماما..... يا ماما "مريم" أرجوكِ ساعديها

كلماتها الآن كسكين يقطع في مريم ببطء، لم تدري سوى أن تحتضنها، تعتصرها بقوة وتقبلها في كل مكان، فلم تتمنى أن تصل الأمور إلى هذا الحد، لا تتمنى أن تُبنى سعادتها على أنقاض بيت آخر، كان الأب في حالة يُرثى لها هو الآخر، حاول الأطباء تدارك الأمر، لكنهم لم ينجحوا فخرج أحدهم بجواره ممرضة إلى مريم قائلًا لها:

- لقد دخلا في غيبوبة الله وحده أعلم متى سيفيقان منها...

تركها ورحل، لتجد الشرطي فتخبره ما حدث كله، وتسأله:

- هل لها أقارب أخرون؟
- لا يا سيدتي فقط أبواها، ستأتين معي الآن إلى قسم الشرطة لتقولي كل ذلك....
- وماذا عن الطفلة ماذا سيكون مصيرها الآن؟
- هي الآن في كنفك حتى يفيق والداها.

فرحت في قرارة نفسها، على الأقل هناك أمل أن تجتمع تلك الأسرة من جديد، ولديها وقت تقضية مع "هدى" أكثر، فتنظر لطفلتها وتمسح دموعها وهي تقول:

- هيا.... لنذهب يا فراشتي الزرقاء؛ لنحلق إلى بستاننا الخاص

لتتفاجئ برد الطفلة عليها قائلة بخوف وقلق:

مـــ..... من أنتِ؟ ومن أنا؟ وأين نحن؟

وجع

مصطفي شكري

كنت جالساً في المترو، حيث أنهيت يوم عمل شاق، أعد المحطات محطة تلو الأخرى متمنياً الإنتهاء، لأذهب إلى بيتي لأ تناول وجبة الغداء في عجالة لألحق بالعمل الثاني في الموعد، بدلاً من أن يُخصم من أجري بسبب التأخير كالعادة، لفت انتباهي بشدة، الرجل الجالس أمامي، نظراته ليست طبيعية إطلاقاً.

كان رجلاً أربعينياً إلا أنه أشيب الشعر هزيل الجسد، يرتدي ملابس رثة تدل على أنه يعمل في المعمار أو الدهانات أو ما شابه، و يحمل في يده حقيبة أدوات العمل.

كان يجلس مغمضاً عينيه مريحاً ظهره للخلف إلى أن رن هاتفه المحمول العتيق ليرد قائلاً:

- لا تشغلي بالكِ، سأتدبر الأمر إن شاء الله.

وأغلق الهاتف ليهز قدميه في توتر، وينظر من النافذة رافعاً رأسه إلى السماء في رجاء، وتتحرك شفتاه و هو يدعو سراً لترتجفا في قوله:

- يا رب.

ينظر للناس في العربة بتردد، ثم يعود للنظر من النافذة، يزداد التوسل الواضح في عينيه لينطق فجأة و بدون مقدمات، دون أن ينظر إلى أعين الركاب:

- يا جماعة ! أ... أنا آسف على التحدث فجأة، لكني أطلب منكم إن كان فيكم من لديه المقدرة على المساعدة المادية، فابني لابد أن يجري عملية جراحية عاجلة اليوم، و المستشفى رافضة إجراء العملية دون سداد مستحقاتها أولاً.

لم يُعره أحدٌ أي اهتمام في ظن و تأكد تام منهم أنه شخص شحاذ ومحتال! نظر إليهم وأتبع كلامه:

- من لديه المقدرة المادية ومستعد للمساعدة، فليذهب لمستشفى الشفاء، الدور الرابع، اسم المريض "زياد إبراهيم خليفة"

لم يرد أحداً أيضاً فنظر نظرة يأس قائلا:

- شكراً يا جماعة

نظر من النافذة في خوف، يقضم أظافره في توتر، يهز قدميه، تدمع عيناه، تخرج كلماته مجروحة:

- يا رب.. يا رب.

رن هاتفه ثانية فرد عليه متلهفاً:

- ماذا تقولين! عناية مركزة! أنا قادم حالاً

قام من مقعده فجأة وجري مصطدماً بالركاب الواقفين، ليقف عند الباب منتظراً فتحه عند المحطة التالية القريبة، فقمت من خلفه محاولاً اللحاق به لمحاولة مساعدته رغم عدم مقدرتي المادية، إلا أنني كنت سأحاول إيصاله بمن يستطيع المساعدة.

فُتح الباب ليشق جدار الركاب بجسده ويجري، فجريت من خلفه لأتبعه أخذت سرعته تقل وبدأ يترنح إلى أن وقف منحنياً يتنفس بصعوبة، ثم سقط! جريت نحوه والتف الناس من حوله محاولين إيقاظه وهنا رن هاتفه، فقمت بالرد عليه بنفسي:

- تعال و خذ أجرك يا أسطى إبراهيم، لم أكن أعرف أن ابنك مريض، كنت أظن أنك تخدعني ولم أكن أريد أن أعطيك أجرك إلا عند الانتهاء من عملك، ولم أكن أتوقع أن تنهي الشقة بالكامل في أسبوع واحد وبهذه الجودة لذلك قلت لك لن أعطيك أجرك الآن، لم أصدق إلا عندما جئت و رأيت الشقة بنفسي، تعالَ و خذ أجرك يا إبراهيم.
- أنا لست الأسطى إبراهيم، إبراهيم سقط في الشارع مغشياً عليه، لو تعرف أحداً من أهله حاول أن توصله بي.

أغلقت الهاتف والناس يحاولون إفاقته بكل الطرق من رش الماء والعطور و هناك من قاموا بطلب الإسعاف، يرن الهاتف فأرد لأسمع صوت امرأه باكية:

- إبراهيم زوجي.. أين هو؟

- سيدتي.. لقد قمنا بطلب الإسعاف وسنقوم بنقله إلى المستشفى، لكن أخبريني إن كان يتعرض للإغماء باستمرار أو كان لديه مرض ما؟
- إنه مريض بالقلب، و كان في المستشفى قبل أسبوع وكان محدد له أن يجري عملية جراحية ولابد من الراحة التامة، لكنه خرج من المستشفى عند علمه أن ابنه لابد أن يجري عملية جراحية عاجلة وليس لدينا أي أموال، وأصر على أن ينزل للعمل و يضاعف مجهوده حتى يحصل على أكبر قدر من المال.
- حسناً.. لقد وصلت الإسعاف الآن
- أرجوك.. عندما يفيق لا تخبروه أن ابنه قد توفي!

تصادفت تلك الجملة مع الجملة التي أسمعها في الخلفية والتي قالها طبيب الإسعاف..

- لقد توفي الرجل!.

تمت

عز الدين

ناصر رمضان

في محطة الحافلات يقفان منتظرين في نظامهم المعهود خلف ركاب الدرجة الأولى، ربما يأتي ذلك المتكدس بالبشر في وقته أو يتأخر ساعة كعادته، على عكس ذلك الصف الأول من المتزينين بالوشاح الأسود، فمواعيدهم تكاد تكون بالثانية.

أتى أتوبيس اليهود ليخلو الصف الأول من البشر ويظهر الصف الثاني منتظرا هبوب عاصفة مركبتهم قديمة الصنع ليستنشقوا دخانها المعهود، تمر الحافلة المتهالكة بوسط البلد ومن نافذتها يتابع ''عز الدين'' ذلك النشاط المحموم في بناء معبد جديد للسادة في قلب العاصمة، وهو الثالث في خلال عامين بناء على طلب من الحاخام الأكبر، والذي قوبل بموافقة مجلس النواب كما أذيع منذ فترة في وسائل الإعلام.

توقف الاتوبيس المتهالك ليهبط''عز الدين'' ومعه ابنه ''عربي'' وسارا في اتجاه المستشفى العام وسط الشارع المكتظ بالمارة، وازداد ظهور اللون الأسود والقبعات بين المارة، فهي المنطقة الأكثر استحبابا عند اليهود لتعدد المعابد والبيوت القديمة وصل مستندا على كتف ابنه إلى الممر الطويل المؤدي إلى غرفة الكشف في مستشفى التحرير العام والمتكدس بالمرضى، حتى لم يعد هناك من يستطيع المرور من الممرضين الذين اعتادوا هذا التكدس أول كل شهر.

كانت السمة العامة والمميزة لكل المتكدسين في الممر بانتظار دورهم هو الهزال والكآبة ونظرة القلق مما ينتظرهم داخل الغرفة، وكل منهم يمسك بحرص على ورق ومستندات فيها حالته الصحية والأمراض الحالية والسابقة إن كان سبق له الشفاء من داء ما من قبل .

شاردون جميعا، و موسومون بسمات الفقر والعوز، يدعون الله بتمتمات خافتة أن يرقق عليهم قلب الطبيب ويمنحهم ختم الموافقة على طلباتهم.
على الأرض – بجوار باب غرفة الكشف – جلس'' عز الدين'' بجوار ابنه ''عربي'' ذي العشرين عامًا يدعو مع الداعين، أن يخرج من الغرفة مجبور الخاطر عندما أتاه صوت عربي سائلا:

– هل سيطول انتظارنا يا أبي ؟

التفت إليه متأملًا وجهه المستدير، وعينيه الخضراوين، وذلك الشارب الخفيف وابتسم في حنو وهو يتعجب على سرعة مرور الأيام، فها هو ابنه الصغير قد بلغ العشرين رغم أنه يتذكر ليلة ميلاده وكأنها بالأمس، ليلة تنحي مبارك الشهيرة عن الحكم بعد ثورة الثمانية عشر يوما، تلفت حوله بقلق عندما انتبه أن الذكرى مازالت مستقرة بعقله تحت مسمى ثورة، وخشي أن يكون هناك من يقرأ أفكاره بالجوار عندما أتاه صوت عربي مرة أخرى:

– ماذا بك يا أبي؟

أجابه عائدا بعينيه إليه بعد اصطدامها بزحام الممر:

- لا شيء يا ولدي، تذكرت ليلة مولدك
- ألهذه الدرجة هي ذكرى سيئة؟

ابتسم الأب مع مزحة عربي وأجابه محاولا إضحاكه:

- نعم كانت سيئة، ففي تلك الليلة كنت سهرانا مع الجيران في الشارع وكانت الليلة باردة، وكنت أفكر في أمك أنها أفضل ما يدفئني ومنيت نفسي باستكمال السهرة معها، عندما أتانا صريخها والذي علمنا بعدها أنه إيذانا بمجيئك، عرفت الآن ماذا اضعت مني بمجيئك المفاجئ؟

ابتسم الفتى خجلا وكرر سؤاله مرة أخرى:

- هل سيطول انتظارنا هنا؟
- لا أعلم يابني متى سيبدأون الكشف، لكننا أول من سيدخل لأني حجزت منذ الأمس، أدعي الله لنا أن نحصل على موافقة الطبيب على اوراقنا .

عادوا لصمتهم المترقب، وعيناهم معلقتان بباب حجرة الكشف التي فتحت بعد قليل، ونادت الممرضة على رقم واحد ليقوم عز الدين وعربي متجهين لداخل الحجرة وقد بدأ جسد الرجل في الارتعاد من التوتر.

خلف مكتب معدني صغير، يجلس طبيب المستشفى الشاب مشغولا بشاشة حاسبه المحمول وسأل عز الدين دون أن يلقي عليه نظرة:

- كشف أم طلب تبرع ؟
- طلب تبرع يا فندم.

قالها بصوت واهن متوتر، رفع الطبيب عينيه إليهم وتفحص عربي بنظراته للحظات ثم سأل:

- ومن هذا؟
- هذا ابني

ظلت نظرات الطبيب متسائلة فقال عز الدين:

- تحديث بطاقات التموين يا فندم تستلزم التبرع بالدم كإجراء ينص عليه القانون كل ثلاث شهور للأب والأم، وقبل التبرع لا بد من الكشف وأخذ موافقة الطبيب على التبرع وإلا لن يتم تحديث البطاقة، وبالتالي حرماننا من المواد الغذائية المدعمة، منذ يومين رفض طبيب زميل لحضرتك ورقي وقال أني مصاب بمرض السكر ونصحني بأن يأتي معي ابني أو ابنتي للتبرع بدلا مني.

قالها بصوت متذلل، فيه رجاء للطبيب الذي تفحص عربي الواقف صامتا أمامه ثم أمسك بهاتفه وطلب رقم ما وتكلم بصوت منخفض لا يُسمع مع الطرف الآخر وعينيه معلقه بعربي، أنهى المكالمة وأخذ الورق من عز الدين وهو يقول له:

- تعلم أن ما تطلبه مخالف للقانون، لهذا مضطر لرفض طلبك لكن أطمئن، ستذهب الآن لسيادة الرائد مدير المستشفى وهو سيحل لك تلك المشكلة.
- سيادة الرائد! وهل سيسمح لي الحرس بالدخول إليه؟!
- نعم فأنا كلمته الآن عن مشكلتك وهو ينتظرك، مكتبه في الطابق الثاني فوق مكتبي هذا، هيا أذهب.

لملم أوراقه من على المكتب بيد مرتجفه وخرج مع ابنه بعد أن توجه بالشكر للطبيب على لا شيء فهكذا ديدنه دائما، يرضى بأقل القليل ويشعر بالعرفان لأي شخص يكلمه بود حتى لو لم يقدم له خدمه تذكر، خرج إلى الممر المزدحم بوجه ممتقع وضربات قلبه ترن في أذنيه من الاضطراب والتوتر والخوف معًا فبجانب خوفه وقلقه من ضياع حصة عائلته من التموين الحكومي المدعم، هناك أيضا الاضطراب من مقابلة مدير المستشفى! سيادة الرائد، بما لرجال الجيش عموما برهبة في نفوس الجميع، وهو لم يعتاد على مقابلة هؤلاء الكبار من قبل!
كان يسمع حكايات تحدث في أقسام الشرطة منها أن المتهمين والمقبوض عليهم يخلعون أحذيتهم عند دخولهم على أي ضابط شرطة، وسأل نفسه هل ينزع حذاءه عند دخوله على المدير هذا؟
صعد الدرجات مع عربي ببطء عندما رأوا الحاخام چوزيف هابطا من أعلى السلم بزيه المميز وتلك الطاقية الصغيرة فوق رأسه، فوقفوا تأدبا حتى مر بجواره برائحته العطرة، وتذكر عز الدين ولده الأكبر عندما رأى الحاخام، ولده الذي قرر

منذ سنوات خمس مضت تركهم وترك وطنه ودينه ويقرر السفر لإسرائيل واعتناق اليهودية، بمباركة الحاخام وجمعية أبناء الرب أكبر جمعية خيرية في مصر، والتي تساعد الجميع بعيدا عن دياناتهم فلا تفرق في التعامل بين مسلم ومسيحي ويهودي، وبسبب طريقتهم تلك اعتنق كثير من الفقراء اليهودية وكان منهم عاصم ابنه الأكبر، وقتها لم يعترض ظنا منه أن الابن بالتأكيد سيساعدهم وينتشلهم من فقرهم لكنه ذهب ولم يسمعوا عنه بعدها!

- أكيد تذكرت عاصم؟!

قالها الابن عندما لاحظ شرود والده وطالت وقفته فأجابه:

- وهل نسيته يوما يا بني؟ أتمنى فقط أن أسمع عنه خبر يطمئنني عليه.

واصل صعوده البطيء حتى وجد نفسه أمام حجرة تعلوها لوحة تخبره أنها حجرة المدير وعلى بابها يقف حارس بادره قائلا:

- أأنت عز الدين شاكر؟

- نعم!

قالها وزاد توتره ومعه زادت نسبة الأدرينالين في دمه، وجف حلقة خاصة عندما قال الحارس وهو يفتح الباب:

- أدخل سيادة المدير في انتظارك.

دخل ممسكا بيد عربي بقوة، وكأنه يلتمس من ابنه الحماية ليجد في استقباله مدير المستشفى الشاب ذو الوجه الحليق والذي ابتسم له مطمئنا إياه قائلا بود:

- اتفضل يا أستاذ عز الدين، قل لي أولا ماذا تشرب فشكلك متعب؟
- لا شيء يا سيدي شكرا لك.
- تفضلوا اجلسوا أولا ولا تقلقوا، لكل مشكلة حل بإذن واحد أحد.

جلس على طرف المقعد تأدبا وهو يتعجب من تلك الحفاوة التي لم يتوقعها وظل يحمد الله في سره على نعمة أنه مصري، فحص المدير الورق في سرعة ونظر لعربي ولعز الدين بود قائلا:

- مشكلتك يا أستاذ عز ليس لها حل طبقا للقانون، وعندي سؤال مهم هل أنت في احتياج فعلي لبطاقة التموين أم أن حالتك المادية تسمح لك بالاستغناء عنها؟

انطلق لسان عز الدين يعدد سوء حاله ومدى فقره واحتياجه لأي مساعدة وتهدج صوته مع بكائه الذي منعه من الاسترسال، بدى التأثر الشديد على وجه المدير وطالبه بالهدوء، مع وعد أنه سيحل له المشكلة وقال:

- أنت تعلم أن القانون الآن يدعم ويشجع المواطنين على التبرع بالدم وبالأعضاء أيضا، وبما أن حالتك لم تعد تسمح بالتبرع فعندي الحل الذي يضمن لك استمرار الدعم لك بقية حياتك، وبدون الحاجة لتجديد الورق كل فترة، ولا الحاجة للتبرع بالدم مرة أخرى.
- أرجوك دلني على هذا الحل!

أخرج كارت صغير وضعه على الأوراق وقال:

- الحل هو أن تتبرع أنت أو أحد أفراد أسرتك بكلية أو فص من الكبد في إحدى مستشفيات القطاع العام فهل توافق؟!

لم يرد وهو ينظر لابنه عربي، الذي انتبه أن القرار أصبح له هو وليس الوالد فقال:

- بالطبع أوافق يا سيدي، لكن أين أذهب وماذا أفعل؟
- تعرف العاصمة الإدارية الجديدة بلا شك، ستذهب إلى هناك وسيسمح لك الحرس هناك بالدخول عندما تريهم هذا الكارت الشخصي، سأرسلك لمستشفى هناك بتوصية مني لمديرها الذي سيقوم بكل ما يجب.

وضع له الأوراق كلها بداخل مظروف عليه رسم لنسر غير واضح المعالم وناوله لعز الدين، ومعه الكارت الشخصي، وأوصاه الذهاب غدا صباحا لملاقاة المدير.
انحنى عز الدين ليقبل يده وهو يتناول المظروف فسحبها الرجل مسرعا، وعادت دموع عز للانهمار مرة أخرى ولكن هذه المرة كانت دموع السعادة وظل يلهج بالدعاء للمدير وهو يخرج من مكتبه بصحبه عربي.

تمت

صرخة عشق

هايدي راغب

ليلة باردة من ليالي الشتاء، الظلام يملأ المكان، كان هذا هو وقتي المحبب فقد كنت أحب الروايات الرومانسية كثيرًا، وأتخيل نفسي البطلةدائما، وأسرح، وأشتاق دائماً إلى البطل.

دائما ما أجلس أمام المرآة بالساعات، يمر علي الوقت من ليالي البرد القاسيه أغلق باب غرفتي، الوقت يمتد بالساعات أقرأ الروايات، وأتخيل نفسي فتاة في القرن التاسع عشر لها حبيب يشبه أبطال الروايات والأفلام الرومانسية حتى تدق ساعة النوم، كنت أنام وأنا أفكر في عاشقي المجهول، حتى جاء ذلك اليوم الذي استيقظت فيه على كابوس مفزع مرعب، ملأني بالخوف والفزع، وفتحت عيناي من شدة الخوف، والألم يحيط بجسدي وأحسست بالعطش الفظيع كأني داخل صحراء لا يوجد بها مياه وكاد العطش يقتلني، لم أتحرك من مكاني، قيود غير مرئية تشدني إلى الأرض وتكبلني، تصببت عرقاً شديداً حتى ابتلت ملابسي، وفجأة أحسست بهمسات غريبة، تهمس وتناديني:

- يامولاتي ياعاشقتي أنا عاشقك الموعود على حبك

وبدأ الصوت يقترب، والصورة تقرب حتى رأيت ملامحه واتضحت صورته، حاولت أن أبتعد من المنظر المريع، والخوف يقتلني كنت أنظر إلى كائن بشع الخلقة، عيناه لونهما أحمر مثل لون الدم القاتم وشعره طويل أسود مثل سواد الليل،

له قرنان صغيران أعلى رأسه، وأقدامه تشبه حوافر الماعز، وفجأة اقترب مني، وتقربت المسافات بيننا، وأنا جسدي يتصبب بالعرق من شدة الخوف، همس بكلمات غريبة، ولكني فهمتها كان يقول:

- أنا العاشق الموعود على حبك، أنا المجنون بعشقك

اقترب أكثر ولمس جسدي فحاولت أن أبتعد، كانت الصرخة بداخلي ولم أستطع إخراجها، ابتعد ثم قال:

- لنا لقاء، لنا عودة

ظل صدى صوته يتردد وهو يخفت، وصورته تبتعد، صحوت من نومي وأنا أتصبب عرقاً.

تكررت تلك الأحلام، كل مرة كنت أرى نفس الملامح، وكل مرة كان يهمس في أذني بكلمات حب وعشق لم أسمع مثلها من قبل، واندهشت بشدة عندما بدأت أحن لتلك اللحظات، لقد أثرتني كلماته العاشقة التي كان يبثها على مسامعي، تلك الكلمات التي عشت عمري بأكمله بانتظار أن يقولها أحدهم لي، وعندما أتت أتت من ذلك المخلوق، فرغما عني أصبحت أشتاق له ولكلماته، وأشتاق لرؤياه، لم يعد في نظري ذلك الوحش الرهيب، بل أصبح عاشقي ومتيمي، الذي يهيم بي عشقا، وماذا تريد الأنثى إلا شخصا يحبها كل هذا الحب، واستمرت لقاءاتنا حتى أتى ذلك اليوم الذي بدأ به في مداعبتي، ولأنني أنثى ضعيفة، ومرهفة المشاعر، ولأن المتعة والإحساس بالمشاعر أقوي أضعاف مضاعفة من الإثارة العادية، وجدتني رغماً عني أنجذب أكثر إليه بل

وأصبحت حتى أنتظر لقاءاته في أحلامي، وبما أن الجسد الأثيري يكون سجين المادة؛ فقد كان جسدانا يلتقيان خارج نطاق المادة لنحلق معاً في فضاء الأحلام، كائنين وحدتهما المشاعر والحب.

مر الوقت علينا معي ومع عاشقي وحلمي حتى أحسست بالفراغ، وأحسست بخروج عاشقي، وبداية إفاقتي من حلمي بضع دقائق، وفجأة بدأت أصرخ وأبكي أين عاشقي أين عاشقي، لقد أحببته رغم منظره، إنه عاشقي الذي ظللت أبحث عنه طويلاً، ها أنا أتناول عقاري المنوم لكي أذهب لحلمي حيث عاشقي ينتظرني .

تمت

نبع القوة

وائل عبد الرحيم

ارتفعت الشمس عالية، وهي تلقي بأشعتها الذهبية على شاطئ تلك الجزيرة، ذات الأشجار الكثيفة، بينما اندفعت أمواج البحر بهدوء وانسيابية تضرب شاطئها ثم تنحسر عنه في تتابع رتيب بدون كلل أو ملل، كان منظراً هادئاً جميلاً، يبعث لناظره شعوراً بالراحة والاسترخاء والسلام النفسي، ولكن هذا المنظر البديع لم يكن ليتناسب مطلقاً مع ما يحدث بداخل الجزيرة نفسها، بالتحديد وسط تلك الغابة الكثيفة الأشجار التي تحتل أكثر مساحتها، حيث اندفعت تلك الدراجة البخارية بسرعة فائقة وسط الأشجار، وقائدها يتفادى الأشجار المواجهة له بصعوبة، بينما يهتف به شخص آخر يركب وراءه هاتفاً:

- تباً لك حاتم، كان لابد لك من تعلم قيادة الدراجات البخارية أولاً قبل القيام بهذه المهمة.

أجابه حاتم وهو يتجاوز إحدى الأشجار ناظراً في خريطة مضيئة عجيبة قد قام بفردها على المقود:

- وكيف كان لي أن أعلم أني سأحتاج إلى قيادة إحداها في مهمتي يا نادر؟ لست أعلم حتى كيف أتى بها هؤلاء الأوغاد هنا! ومنذ متى

والمشعوذون يستخدمون الدراجات البخارية والأسلحة النارية؟ فلتحمد الله أني أتذكر أشياء من قيادة الدراجات.

هتف نادر:

- ماذا؟ قيادة دراجات؟ أتعنى أنك لم تقم بقيادة دراجات بخارية قبل ذلك؟!

ابتسم حاتم قائلاً:

- وهل قلت لك قبل ذلك أني قدت إحداها؟

اتسعت عينا نادر ذهولاً، ولكنه وقبل أن ينطق، كان حاتم يقوم بإحدى المناورات الخطرة لتجاوز إحدى الأشجار، فتجاوزها بالفعل، ولكنه فشل هذه المرة في استعادة السيطرة على الدراجة ، فهتف به نادر أن يحترس، ولكن تحذيره جاء متأخراً، لتسقط الدراجة به وبحاتم أرضاً قبل أن ترتطم بإحدى الأشجار في عنف وتتحطم تمامًا، بينما تدحرج جسدا حاتم ونادر على الأرض حتى استقرا بعد لحظات، ولقد ساعدت بنية نادر القوية بسبب تلك الرياضات البدنية التي يمارسها على تحمله للصدمة، فنهض بدون إصابات تذكر وهو يتجه إلى حاتم الملقى أرضاً في صمت هاتفاً باسمه في جزع، وهاله ما رآه عندما وصل إليه من إصابات متعددة تنتشر بجسده الذي بدأ ينضح بالدماء، احتضن نادر جسد صديقه في لوعة، ليفتح حاتم عينيه بعد لحظات في صعوبة هامساً:

- عجباً لك يا نادر، أتولول عليّ وأنا ما زلت حيا!

ليحتضنه نادر بقوة وهو يبكي قائلاً:

- تباً لك، أتموت وتتركني هنا بمفردي؟

حاول حاتم النهوض؛ فساعده نادر حتى استطاع إيقافه بصعوبة؛ وهو يقول له ناظراً إلى جروحه:

- إن اصاباتك خطيرة بحق .

تجاهله حاتم وهو يشير إلى إحدى الأشجار قائلاً:

- أنظر، إنها إشارة أخرى.

نظر نادر إلى ما يشير إليه، فوجد إحدى الأشجار مكتوباً عليها بلون ذهبي براق جملة واحدة " إهرب ... لا تذهب بهذا الاتجاه ..!!"

قال نادر بغيظ:

- إذن فأنت مصر على إتمام تلك المهمة برغم كل شئ، هل تظن أني سأدعك تؤذي نفسك أكثر من هذا، فلتعلم أني أقسمت أني لن أعود إلا بك.

قال حاتم:

- أعلم أنك لن تستطيع العودة إلا بي.

ثم ابتسم في ضعف قائلاً:

- فأنت لا تستطيع قيادة الطائرة.

نظر له نادر في غيظ قائلاً:

- أتغيظني يا حاتم؟ أنا لا أعلم كيف يعلمك والدك قيادة طائرة، ولا يعلمك قيادة دراجة بخارية! لقد انقلبت بنا تلك الدراجة البائسة بسبب رعونتك في القيادة، حتى كدت تقتلني وتقتل نفسك معي، والآن ها نحن بدون وسيلة انتقال، وأنت مصاب بشدة، ويطاردنا مجموعة من المجانين سيصلون إلينا قريباً حتماً حالما يصلحون دراجاتهم، ماذا سنفعل الآن يا صديقي؟

حاتم:

- سنكمل الطريق طبعًا.

ظهر الغيظ على وجه نادر وهو يقول:

- كيف تكون هادئاً هكذا؟ ألا تعلم موقفنا الخطير؟ تباً لليوم الذي طاوعتك فيه على القيام بهذه المهمة الخطرة.

حاتم:

- إني أنفذ وصية والدي وإرث أجدادي – ثم من أدراني أن هؤلاء الأوغاد قد علموا موقع الجزيرة بالفعل، ووصلوا إليها قبلنا، ولكن بالرغم من ذلك فالهدف يستحق يا صديقي الثائر، تخيل وصولنا إلى بئر الحياة، بئر الخلود، بئر القوة اللا محدودة.

قال نادر في قلق ناظراً إلى جراح حاتم النازفة:

- إذن فلتدعوا ربك أن تكون هذه البئر حقيقية ونصل إليها سريعاً، وأن تكون بالفعل قادرة على الشفاء، فجراحك غير مطمئنة، غير مطمئنة بالمرة ..!!

نظر له حاتم في قلق وهو يعود بذاكرته إلى الماضي القريب، متذكراً بداية هذه الأحداث، وما الذي أدي به وبصديقه إلى هذا الموقف الصعب العجيب!

****

تذكر حاتم حياته كطبيب يعمل في إحدى المستشفيات الكبرى بمصر، والتي يمتلكها والده الطبيب أيضًا، حيث ينتمي لعائلة جميع أفرادها من الأطباء، ويعد والده من أشهر أطباء الجراحة بمصر، وجده أيضًا، لم يكن لحاتم إخوة حيث أنه وحيد والده، الذي لم يعد لديه سواه بعد وفاة والدته منذ سنوات طويلة، حتى أتى الوقت الذي مرض به والده واشتد به المرض، فطلب مقابلته، ليعطيه مظروفاً مغلقاً منتفخاً، ويخبره بآخر أنفاسه بوجود وصية مع المحامي عليه قراءتها جيداً، وتنفيذ ما بها إن استطاع حمل الأمانة، وعليه الحفاظ على المظروف جيداً، وعدم فتحه إلا بعد قراءة الوصية التي عليه أن يقراها بمفرده حيث قد ابلغ المحامي بهذا وقبل أن يسأله حاتم عما بداخل المظروف، وعما يعنيه بالأمانة، فاضت روح والده إلى بارئها ملبية ندائها الأخير.

بعد أن وارى حاتم جثمان والده التراب، وبعد انتهاء فترة الحداد الحزينة، توجه من فوره إلى المحامي ليتسلم وصية والده، ويعود إلى المنزل؛ ليفضها؛ فيجدها مكتوبة بخط والده نفسه وكان يقول له فيها:

- " ولدي العزيز... سوف أشرح لك كل شيء، كل ما عرفته وما حدث من أحداث من قديم الزمان ..

فلنبدأ منذ البداية ..

منذ آلاف السنين، وفي أعماق الكون السحيق، كانت هناك على أحد الكواكب حضارة عظيمة، حضارة تقوم على السلام والإخاء والحب، ولقد كانت هذه الحضارة متقدمة للغاية، وكانت تقوم ببعثات تجوب أرجاء الكون، لاستكشافه ومعرفة المزيد عن باقي مخلوقاته العاقلة ، وكواكبه المأهولة وحضاراته، وكان هدفهم الرئيسي التواصل مع هذه الحضارات، حتى وصلوا يوماً إلى الأرض، وهالهم ما يمر به أهل الأرض من ظروف سيئة، أغلبها متعلق بضعف بنيتهم، وعدم مقدرتهم على مواجهة الوحوش التي يعج بها عالمهم حينها، ورأوا الكثير ممن أصيبوا، أو فقدوا أطرافهم أثناء الصراعات مع تلك الوحوش، وهنا قرروا إنشاء نبع القوة، نبع عبارة عن بئر من مياه صافية لا تختلف عن مياهنا كثيرًا، ولكنها لها أثر عجيب في شفاء الإصابات، وحتى إعادة الأطراف المبتورة إلى أماكنها بسهولة عجيبة، فاندهش سكان الأرض حينها مما فعله هؤلاء الغرباء، واعتبروهم آلهة هبطت عليهم من السماء لتحميهم، فمجدوهم وعظموهم، ورسموهم على الجدران والكهوف، وليست كهوف تاسيلي بأول ولا آخر هذه الكهوف، التي لم يتم اكتشاف معظمها بعد، حتي أتى وقت رحيلهم، وكان لابد من وجود أحد يحمي

البئر، حيث أن استخدام مياهها بكثرة على نفس الشخص تعطيه قوة بلا حدود، حيث يصبح منيعاً قوياً، قادراً على الإنطلاق عبر الزمان والمكان، سريعاً لا تؤثر فيه الأسلحة، باختصار جيش من أمثاله يستطيعون حكم العالم، بل وحكم التاريخ نفسه، لذا قاموا بحماية البئر بتعاويذ معينة قام بابتكارها سحرتهم حيث كانوا بارعين بالسحر أيضًا، مع استخدام تركيبة خاصة سحرية، بحيث إذا استخدمها أحدهم بدونها تحرقه على الفور، وقاموا بإعطاء التركيبة لأرضي يثقوا به كان يتميز بالعقل والحكمة، وقاموا بتسليمه أوراقاً بها التعاويذ على ألا يسلمها إلا إلى أحد يثق به، ويكون هذا بإرادته الحرة، ولا يستطيع أحد أبدًا الحصول عليها رغماً عنه ما دامت في حوزته، ولقد توارث الكثير هذه التركيبة والأوراق، وقاموا على مدار التاريخ باستخدام مياه البئر في الخير، الخير فقط.. حتى عصرنا هذا، حيث توصلت قبيلة من السحرة إلى سر النبع الموجود في جزيرة غامضة بالبحر الأحمر بالقرب من سواحل مصر، وغير موجودة في أية خريطة، وبعيدة تمامًا عن أي مجرى ملاحي معروف، كما أن لها حماية عن طريق السحر، حيث أنها تظهر وتختفي باستمرار ، فقاموا بتتبع ومراقبة الرجل المكلف بحماية البئر من عصرنا هذا من بعيد، حتى يتحينوا الفرصة المناسبة للانقضاض عليه، وأخذ الأوراق منه، هذا الرجل هو أنا يا حاتم، نعم، أنا آخر من أؤتمن على السر، السر الذي استخدمته مثل أسلافي في الخير فقط، ولعلك علمت الآن سر تلك العمليات الجراحية الناجحة التي قمت بها لإعادة أطراف مقطوعة إلى أصحابها، والتي أدهشت الكثيرين من الأطباء في المحافل العلمية العالمية، وجعلت شهرتي تجوب الآفاق، كثيرين عادت لهم أطرافهم المقطوعة على يدي، ولكن الفضل كان لنبع القوة، وليس لي أنا ..

ولن أخبرك بالمحاولات العديدة التي حاولها معي مجموعة السحرة هؤلاء؛ لإجباري على إعطاءهم التركيبة والأوراق التي تشرح مكان البئر وطريقة استخدامه؛ ولكني قاومتهم قدر ما استطعت؛ مستغلاً عدم مقدرتهم على أخذ الأوراق رغماً عني، والآن قد شعرت بنهاية أجلي، ولم يعد لدي سواك لأحملك المسؤولية، طبعًا لقد علمت الآن ما في الأوراق، إنها خريطة بمكان البئر، ومجموعة الأوراق بالتعاويذ المناسبة لاستخدامها، والقنينة التي توجد بها التركيبة السحرية، والتي تتميز بقدرة عجيبة على تجديد نفسها بمجرد نقصانها، مما يجعلها لا تنفذ أبدًا مهما أخذت منها، واطمئن ستستطيع قراءة التعاويذ بسهولة بمجرد قبولك للأمر، والآن الأمر بيدك، إذا وافقت على حمل الأمانة، فعليك بالذهاب إلى البئر لأداء التعاويذ عنده حتى يتم قبولك للمهمة، لقد تركت لك عدة جمل إرشادية وتحذيرات هناك، وواثق من ذكاءك لاجتيازها، واحذر من هؤلاء السحرة، فإنهم لن يتركوك، واتبع إحساسك دائمًا، أما إذا لم ترد حمل الأمانة فعليك بشيء من اثنين، إما أن تكتفي بتمزيق الأوراق وستختفي البئر عندها إلى الأبد، أو أعطها لشخص تثق به ثقة عمياء، وتثق في قدرته على حمل الأمانة، وفي النهاية لا أستطيع إلا أن أطالبك بفعل ما يمليه عليك ضميرك ومسؤليتك يا بني، وأنا واثق من اتخاذك القرار السليم... والدك الحبيب "

تذكر حاتم هذا، وتذكر كيف تحمس للأمر، واتصل بصديقه العزيز الطبيب القوي – المتعصب دائمًا – نادر، عارضاً عليه مشاركته في مغامرة العثور على البئر، وكيف وافق نادر بعد تردد في البداية، مع محاولة إقناع حاتم بأن هذا كله هراء، وأن تلك رحلة غير مأمونة العواقب، ولكنه لم يستطع إثناءه؛ فوافق على مشاركته الرحلة، متذكراً كيف ساعده حاتم كثيرًا أثناء دراستهما معاً، وكيف نمت

صداقتهما؛ ليصبحا كما الأشقاء أو أكثر، هكذا انطلق حاتم ونادر في مهمتهما مستأجرين طائرة خاصة قادها حاتم بنفسه مستغلا مهارته في قيادة الطائرات، والتي حرص والده على تعليمه إياها لسبب لم يدركه حاتم إلا الآن، ونجحا في الوصول للجزيرة المتواجد بها البئر، ليهبطا بطائرتهما على شاطئها مترجلين لمواصلة البحث بداخلها، وأثبتا الاثنان براعة حقيقية في تتبع الخريطة وإشارات الوالد، حتى اقتربا من الوصول، ليتفاجئا بانقضاض السحرة عليهما؛ ليحتجزوهما مطالبين حاتم بإعطاءهم الأوراق والتركيبة بإرادته وإلا الموت، وقيدوهما ممهلين لهم مدة قصيرة للتفكير، ولكن نادر وبسبب براعته في فك القيود التي تعلمها من أحد الحواة، استطاع التخلص من قيوده، ليباغت حارسيهما اللذان أخذتهما المفاجأة، وقد رأيا نادر حرٌ أمامهما، فيتغلب عليهما بسهولة، ثم يحل قيود حاتم، ويهرب الاثنان مستقلان إحدى دراجات السحرة البخارية، مطلقين الرصاص على إطارات دراجاتهم المتبقية و ....

- حاتم، حاتم، أين ذهبت يا صديقي ؟

نظر حاتم لنادر الذي نطق بالعبارة السابقة قبل أن يقول له:

- لا شيء، لا شيء ..

ثم نهض متحاملاً على نفسه قائلاً:

- هيا بنا نكمل قبل أن يلحق بنا هؤلاء الملاعين.

ليسأله نادر:

- حسناً، ولكن من أي طريق، هل نعود أدراجنا بناء على ذلك التحذير على الشجرة؟

نظر حاتم ملياً إلى ذلك التحذير قبل أن يبتسم قائلاً:

- كلا.

ثم أشار إلى الكلمات قائلاً:

- أنظر، كلمة اهرب مكتوبة بمفردها ناحية اليمين وبعدها بمسافة باقي الكلمات ناحية اليسار، وهذا يعني إشارة باتجاهنا جهة اليمين ..

نادر:

- أأنت واثق؟!

حاتم:

- نعم، اطمئن يا صديقي، إحساسي يخبرني باقترابنا بشدة.

واصلا المسير بعد أن قام نادر بتضميد جراح حاتم، التي عاودت النزيف بعد قليل، وعلامات الإعياء تزداد على وجهه رويداً رويداً، حتى لاحت لهم فرجة بين الأشجار، يبدو من خلفها ضوء باهت متغير الألوان، فضغط حاتم على يد نادر التي يمسك بها في انفعال، وهما يعبران الفرجة، لتتسع عيناهما انبهاراً، فأمام عيناهما بالضبط استقر بئر مدهش للغاية، جدرانه من مادة ذهبية لامعة براقة، تتصاعد

من فوهته خيوط من أضواء مختلفة الألوان تتراوح ما بين الأبيض والذهبي والفضي والأرجواني، لتصل حتى أعلى البئر بقليل، ثم تتلاشى في الهواء، ظل الاثنان ينظران مبهوتين إلى ما أمامهما، غير قادرين على التحدث للحظات، قبل أن يقطع نادر حاجز الصمت قائلاً في انبهار:

- يا إله السموات! يبدو أن والدك لم يكن مخبولاً في النهاية يا صديقي.

نظر إليه حاتم بعتاب صامت، جعل وجهه يحمر خجلاً وهو يتمتم بعبارات الاعتذار، قبل أن يظهر القلق على وجهه قائلاً وهو ينظر لوجه حاتم الشاحب:

- صديقي، لابد أن نسرع باستخدام مياه البئر، فلست أضمن ألا تسوء حالتك عن هذا.

وافقه حاتم ليتجها ناحية البئر، ليبدأ حاتم وبصوت ضعيف في تلاوة التعاويذ التي حفظها عن ظهر قلب، بعد أن استطاع قراءتها من الأوراق، بالرغم من كتابتها بلغة غير أرضية، وبدأت الأضواء المتصاعدة من البئر في الازدياد، وهي تدور حول نفسها في سرعة متصاعدة، وألوانها تمتزج في مشهد رائع، بينما لم يتوقف حاتم عن تلاوته، بالرغم من إعياءه المتصاعد وجروحه التي بدأت تنزف من جديد وما إن انتهى من تلاوته، حتى أخرج من جيبه قنينة ذهبية صغيرة ، واقترب من البئر فاتحاً القنينة وملقياً منها بقطرة صغيرة من سائل بداخلها يشبه المياه العادية على مياه البئر التي تتشابه هي أيضًا مع المياه العادية، وانتظر قليلاً متوقعاً أي تغير أو حدوث أي شيء، ولكن لم يحدث شيء، فنظر إلى نادر فقال هذا:

- حسناً، أعتقد أن عليك إلقاء نفسك في البئر.

نقل حاتم نظره إلى مياه البئر قبل أن يقول:

- حسناً يبدو أن هذا هو المطلوب بالفعل.

ووضع القنينة في جيبه ثم أمسك بحافة البئر هاماً بإلقاء نفسه به، ولكن قاطعته رصاصة! رصاصة انطلقت لتخترق ساقه، ليسقط أرضاً خارج البئر صارخاً بشدة، ونادر يهتف باسمه بجزع في نفس اللحظة التي خرج بها عشرات من الرجال، عراة الصدور، ممتلئة وجوههم بأصباغ ملونة، وهو يحملون الأسلحة النارية، محيطون بنادر وحاتم والبئر إحاطة السوار بالمعصم، حاول نادر إخراج سلاحه، ولكن صوتاً غليظاً قاطعه قائلاً:

- أنصحك بألا تفعل سيد نادر.

وفي اللحظة التي قام بها الرجال بأخذ السلاح من نادر، الذي أيقن بعدم جدوى المقاومة، خرج من بين الأشجار رجل ضخم، يرتدي قناعاً وحشياً مرعباً، وهو يقول موجهاً حديثه لحاتم:

- حسناً سيد حاتم، شكرًا لإيصالنا للبئر، لقد تتبعنا آثار الإطارات، وآثار أقدامكما، والآن لم يتبقى الآن إلا إعطاءنا الأوراق، والقنينة، ونكون لك شاكرين.

هتف حاتم بالرغم من ألمه، ودوار شديد يعصف برأسه:

- محال.

أشار الضخم بيده، فأطلق أحد أتباعه رصاصة اخترقت ذراع نادر الذي صرخ متألماً، وهو يسقط على ركبتيه في ألم والضخم يقول:

- الرصاصة التالية في رأسه، وبعدها نتسلى سوياً أنا وأنت سيد حاتم، ما رأيك؟

نقل حاتم بصره في لوعة بين وجه الضخم، ووجه نادر المتألم الذي صرخ به:

- لا تطاوعه يا حاتم، لا تلق بالاً بي، فلتكمل مصيرك الذي كتب عليك، لن يستطيع أذيتك صدقني، أما أنا فيكفيني مساعدتك للوصول إلى هنا.

بدا الصراع واضحاً على وجه حاتم، قبل أن يخفض رأسه أخيراً في استسلام قائلاً:

- حسناً، كما تريدون أيها الأوغاد!

أخرج القنينة الذهبية من جيبه، وهو يلقيها بعيدًا قائلاً: ها هي التركيبة، ولكن اتركونا نذهب لحال سبيلنا، ومع التفات أعين السحرة الملهوفة ناحية سقوط القنينة، نهض نادر سريعا، لينطلق ناحية حاتم، فيحمله ويقفز به داخل البئر قبل أن يتخذ أي من الرجال أية ردة فعل.

هرع الضخم ليمسك بالقنينة، ثم يشير لرجاله باتباعه، ليتجهوا إلى البئر، وينظروا إلى مياهه التي بدا الاهتزاز عليها واضحاً نتيجة سقوط نادر وحاتم، ولثوانٍ لم يحدث شيء جديد، حتى ظن الرجال غرقهم بالتأكيد في أعماق البئر، ولكن وفجأة عادت الاهتزازات على سطح المياه بعنف، ليظهر جسدان ينطلقان من

تحتها في قوة وسرعة رهيبة، متجاوزان سطح البئر وهابطان خلف الرجال الذين ميزوا فيهما جسدي حاتم ونادر بدون أية إصابات، وهما بادبي الصحة والعافية، ويركضان بسرعة هائلة وقوة عجيبة وسط الأحراش، مبتعدين عن الرجال والبئر، هَمَّ الرجال بالإنطلاق خلفهم، ولكن إشارة من الضخم منعتهم، وهو يقول لهم:

- اتركاهما، فلا حاجة لنا بهم الآن، وربما نقتص منهما لاحقاً.

قال له أحد رجاله في قلق:

- ولكن المصري ما زال يحتفظ بالأوراق يا زعيم.

قهقة زعيمه ضاحكاً وهو يقول:

- لا تقلق، لقد نطق هذا المأفون التعويذة بالفعل، ولدينا ثلاث ساعات كاملة نستمتع فيهما بالسباحة في المياه، ونيل كل القوة قبل انتهاء مفعول التعويذة، وهذا يكفي تماماً للحصول على القوة الأبدية، ينقصنا فقط إلقاء ما يكفي من القنينة للاستمتاع بالوقت كاملاً، وأنا أعلم الكمية المطلوبة.

برقت عينا تابعه قائلاً:

- إذن فلنبدأ بدون إبطاء يا زعيمي.

لم يكن زعيمه بحاجة لهذا الطلب بالفعل، وهو يتجه إلى البئر، ويفتح فوهة القنينة ملقياً ببضع قطرات محسوبة منها داخلها، قبل أن يشير لرجاله، فيقفزون جميعا

وهو معهم إلى داخل البئر وهم يحلمون بالقوة والسيطرة، ولكنهم فوجئوا مع ذعرهم الشديد بأجسادهم تحترق، والأبخرة تتصاعد منها، مع آلام رهيبة تنتشر في أجسادهم جميعاً، وبدأ بعضهم بالاحتراق بالفعل بداخل المياه في مشهد رهيب ! وبدأ كبيرهم في الصراخ وهو يحترق قائلاً:

- اللعنة، اللعنة، لقد خدعنا هذا اللعين، أعطانا قنينة زائفة، خدعنا، خدعناااااااا.

وكانت هذه آخر كلماته قبل أن تبتلعه المياه ورجاله ..

****

كانت تلك الطائرة الشراعية تقف هادئة على شاطئ تلك الجزيرة الغامضة، الغير موجودة على أية خريطة معروفة، عندما خرج حاتم ونادر من بين الأشجار المطلة على الشاطيء، مهرولين بسرعة رهيبة لا يستطيع أي جسد بشري مهما بلغت قوته أداء ربعها حتى، إلى أن توقفا أمام الطائرة بدون أن يبدو عليهما أي نوع من أنواع التعب، ونادر يهتف في نشوة : يا إلهي، ما كل هذه القوة، أشعر بأني مثل سوبر مان، حتى إني أتساءل كيف نحتاج للطائرة الآن، ولماذا لا نأخذ طريق العودة طائرين بأنفسنا بدون طائرات! ضحك حاتم وهو يقول:

- ربما امتلكنا قوة هائلة بالفعل، ولكنها مؤقتة، وليس من ضمنها الطيران، بالرغم من استطاعتنا القيام بقفزات هائلة.

ضحك نادر بدوره قائلاً:

- نعم نعم، مثل تلك القفزة التي هربنا بها من هؤلاء البلهاء.

قال حاتم وهو يتجه ناحية الطائرة يتبعه نادر:

- فعلاً، لم يتخيل هؤلاء قدرتنا على الهرب منهم بعد سقوطنا في البئر.

ركبا الطائرة بالفعل، وحاتم يديرها بينما يقول نادر في مرح:

- نعم، لقد كانت خطتك بارعة بحق، احتفاظك بقنينة زائفة في جيب سري ببنطالك تحتوي على ماء عادي، لاستخدامها عند الحاجة، وإصرارك على عدم استخدامها إلا عند وصولنا للبئر، كما أمرتني بالقاء نفسي في البئر عند أي شعور بالخطر.

قال حاتم مبتسماً:

- ولكني لم أطلب منك اصطحابي معك حينها.

ليبادله نادر الابتسام قائلاً:

- وهل كان من الممكن أن أتركك يا صديقي؟ نحن في هذا معاً، إما ننجح معاً أو نهلك معاً.

قال حاتم وهو يقلع بالطائرة:

- حمداً لله، لقد وضعت حساباٍ لكل الظروف، ومنها اضطراري لاعطائهم القنينة، ولكني أتحرق شوقاً لمعرفة كيف تعاملت معهم البئر بالقنينة الزائفة التي أعطيتها لهم.

هتف نادر مقهقهاً:

- أراهنك أنهم ينعمون الآن بحمامٍ منعش!

شاركه حاتم الضحك، قبل أن يسأله نادر فجأة:

- والآن يا صديقي، ماذا ستفعل بعد ذلك؟

قال له حاتم:

- وهل هذا سؤال، سأواصل رسالة أجدادي وأورثها لأبنائي، إنها أمانة.

قال له نادر:

- وأنت أهل لها يا صديقي، ستكون خير أمين على نبع القوة.

قال حاتم وهو ينظر له بامتنان:

- ولكن لابد أن أشكرك يا صديقي على كل شيء، لقد علمتني في هذه المغامرة دروساً لن أنساها أبداً، وعرفتني أن الصداقة الحقة هي القوة الحقيقية وأنها هي بالفعل من تستحق لقب النبع ..

شرد ببصره في السماء الممتدة أمامه وهو يقول:

- نبع القوة ..

تمت بحمد الله

معزوفة القلق

يسرا محمد

كانت تسمع دقات قلبها وهي تدق بعنف فاضحة ذلك الخوف الذي يتسلل من قلبها إلى جسدها ليرتعش، وهو ممددا على ذلك السرير داخل غرفة العمليات. كانت الأجهزة تحيط بها من كل جانب و كل العيون تتوجه إليها، مد يده ليقبض على معصمها بحزم ليحقنها بتلك المادة المخدرة، نصحها بأن تسترخي فالموضوع بسيط؛ بضع دقائق وسيتم سحب البويضات من مبيضها، وستكون قد قطعت نصف الطريق، لم يكن يعلم انه ليس طريقها الأول وأنها سارت في طرق مشابهة من قبل، طرق مليئة بالوجع والخيبة المتكررة.

أفاقت لتجد نفسها في غرفة أخرى وبجانبها زوجها كانت تشعر بألم شديد ولكنها تجاهلته، لتسأله بلهفة:

- هل تم كل شيء؟ هل تم تلقيح البويضات؟

أخذ يطمئنها بأن كل شيء قد تم على مايرام، ولكنها ظلت تسأل وتكرر السؤال حتى جاء الطبيب وطمأنها، وطلب منها العودة بعد ثلاثة أيام لإعادة الأجنة إلى الرحم.

لم يكن الإنتظار سهلا، فهذا الوقت العنيد يمر أسرع من البرق حين نرجوه التمهل ويتمهل حد التوقف حين نرجوه المرور، كانت تحاول بشتى الطرق أن تشغل وقتها، فتارة تبدأ بقراءة قصة فيجذبها اسم لطفل أو طفلة فتشرد، وتهب من مكانها لتسجله في تلك المفكرة التي ضمت فيها كل الأسماء التي تمنتها، وحيرها الاختيار كثيرا بينها ،لتغلق الرواية وتذهب إلى هاتفها المحمول، تتصفحة لتقابلها صورا لأطفال حديثي الولادة تداعب ذهنها، وتختطفه بعيدا لأحلام تمنت من كل قلبها أن تتحقق .

حتى حانت آخيرا الليلة التي تسبق يوم إرجاع الأجنة ، كانت طويلة وكأنها بلا فجر، فكلما اقترب منها النوم صرعه القلق بلا رحمة، تخيلت كيف سيصبح حالها إن نجحت العملية و حملت أخيرا، فتبتسم في حبور ،وتأخذها الأحلام؛ فهنا ستضع سريره، وستغير لون الغرفة ويحيرها أي لون تختار أزرق أم أخضر أو ربما أبيض ، وفي هذا الركن ستضع ألعابه .

وفجأة يهاجمها الخوف يهزقلبها بعنف، وينفض عن رأسها كل الأحلام؛ لتفكر ماذا سيحدث إن فشلت؟ أتعيدها؟ أم تسلم نفسها لأمواج اليأس العاتية؟ تسلم نفسها لنظرات الشفقة، وللعيون المتطفلة والتي لا تمل السؤال الكريه متى ستنجبين؟ وللألسنة الحادة كسكاكين تغرس بقلبها بلا رحمة والتي تخبرها أنه لابد أن تترك زوجها يتزوج بأخرى فهذا حقه، أوتتركه هي لتتزوج بآخر فهذا حقها، أم تستسلم لمن يتلحفن بحسن النية فيحضرن لها كل يوم وصفة جديدة من عطار مخضرم أو من شيخ مبروك .

لقد طرقت كل الأبواب، ولم يعد لها من دون الله كاشفة رفعت عينيها إلى السماء لتهتف روحها:

- يارب اللهم لا ملجأ منك إلا إليك

شعرت وكأن يدا حانية تربت على قلبها بلطف لتهدئ دقاتة، وتمسح عنه كل أوجاعه لتتسرب إليه الراحة برفق ومنه إلى كل جسدها لتسقط في نوم عميق.
استيقظت على صوت زوجها يخبرها أن الموعد قد حان، قامت لتتحرك وهي شاردة الذهن، لم تعي ماذا اختارت لترتدي، أو ماذا أعدت لزوجها من فطور، لم تنتبه إلا عندما تمددت على السرير في نفس غرفة العمليات، وشعرت كأن يد باردة تعتصر روحها، انفجرت الدموع من عينيها، لم تعرف أتبكي خوفا أم أملا، فرحا أم حزنا، صبرا أم عجزا ويأسا، حقنوها بالمخدر ليبدأ الدوار يتسلل إليها، استسلم له جسدها كما استسلمت هي لمقادير الله لتهمس وقد أغمضت عينيها "سلمت أمري إليك "

مر أسبوعين حاولت أن تنفذ فيهما التعليمات بدقة، فكما أخبرها الطبيب لابد لها من الراحة، نظام غذائي محدد والبعد عن التوتر، وكم كان هذا صعبا فهل يفترق التوتر عن الترقب؟ وهل ينفصل الانتظار عن القلق؟ كانت تتوسل الأيام أن تمر سريعا فلم تستجب، تمنت أن تبعثر تلك الدقائق والثواني وتقفز فوق الساعات، أن تدفع الأيام دفعا، وإن تَمنعت نزعتها كما ينزع طفل عابث ورقات (نتيجة الحائط) بلا صبر أو ترتيب، حتى وصلت ليوم ظهور نتيجة اختبار الحمل.

كانت تمسك بيد زوجها، وهي تسير في أروقة المستشفى كغريق يحاول التشبث بطوق نجاة في وسط أمواج عاتية، تخشى أن يفلتها، برغم أنه لم يفلتها طوال عشر سنوات، وهي تبحث عن ذلك الحلم، وكأن الخوف قد هزمها في تلك اللحظة، فنزع عنها لباس الأمان والثقة، يمتزج صوت خطوتها مع صوت دقات قلبها في معزوفة (معزوفة القلق).

وصلت إلى غرفة المعمل بعينين زائغتين، وأنفاس متقطعة، سألت بصوت اعترضه الخوف ليخرج خافتا مرتعشا:

- هل ظهرت النتيجة؟

ليجيبها الممرض:

- لحظة واحدة

لم تستطع قدماها تحمل المزيد، فجلست علي أقرب مقعد وعيناها تتابعه حتى غاب داخل غرفة جانبية بضع دقائق، ثم عاد من جديد حاملا ورقة، تعلقت عيناها بوجهه عله يكشف النتيجة، هبت من مكانها إليه نظر لها وارتسمت علامات الخجل على وجهه، وقال :

- للأسف ...

لتسقط فاقدة الوعي، جاءها صوت زوجها متسائلا:

- ماكل هذا الشرود؟!

لينتزعها من ذكرياتها، ابتسمت وسألته :

- هل تذكر يوم أخبروني بحملي؟

رد عليها ضاحكا وهو يتأمل تلك الطفلة النائمة بين ذراعيها:

- لقد كدت تموتين رعبا، وفقدت الوعي بمجرد أن أخبروكي بتلف عينة الدم وضرورة إعادة التحليل.

ضحكت وهي تجيبه:

- وماذا أفعل وأنا لم أسمع سوى (للأسف)

ضمت الطفلة بحنان بالغ، وأخذت تستنشق عبيرها الذكي، ثم شردت وهي تتأمل ملامحها بشغف، مازحها قائلا:

- ها قد سلبت نور عقلك كعادتها؛ لتنسيكي الدنيا ومافيها

أجابته وعلى وجهها ابتسامة رضا:

- هي الدنيا وما فيها.

تمت

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الاهداء	3
المقدمة	4
مجهول الهوية ..... أحمد فضل	5
القلب الأبيض.....أشرف كمال	17
أحياء أموات..... أميرة العربي	26
رسالة من الماضي.....سحر عزام	35
مأساة لوحة.....سماح عبد الرحيم	42
اللؤلؤة السوداء.....سمر منتصر	48
صديقان.....سومية الألفي	64
عنقاء سوداو.....سيد عبده عليوة	75
الروح الأبدية.....فايزة عطا الله	85
صغيرتي.....فوزي فتحي	97
النزال الأخير.....محمد أبو الفتوح	103
صنديد .....محمود طنطاوي	111
ليلتي الأولى في القبر.....محمود عبد الرحيم	124
الفراشة الزرقاء.....مدحت رأفت	130

وجع.....مصطفى شكري 141
عز الدين.....ناصر رمضان 145
صرخة عشق .....هايدي راغب 153
نبع القوة.....وائل عبد الرحيم 156
معزوفة القلق..... يسرى محمد 174

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار أدباء 2000 للنشر والتوزيع

تابعونا على الهاشتاج الخاص بنا

#أدباء_2000

وعلى الصفحات الرسمية للدار

https://www.facebook.com/Odabaa2000/

https://www.facebook.com/groups/1686790618200616

https://www.facebook.com/odabaa2000.Publishinghouse